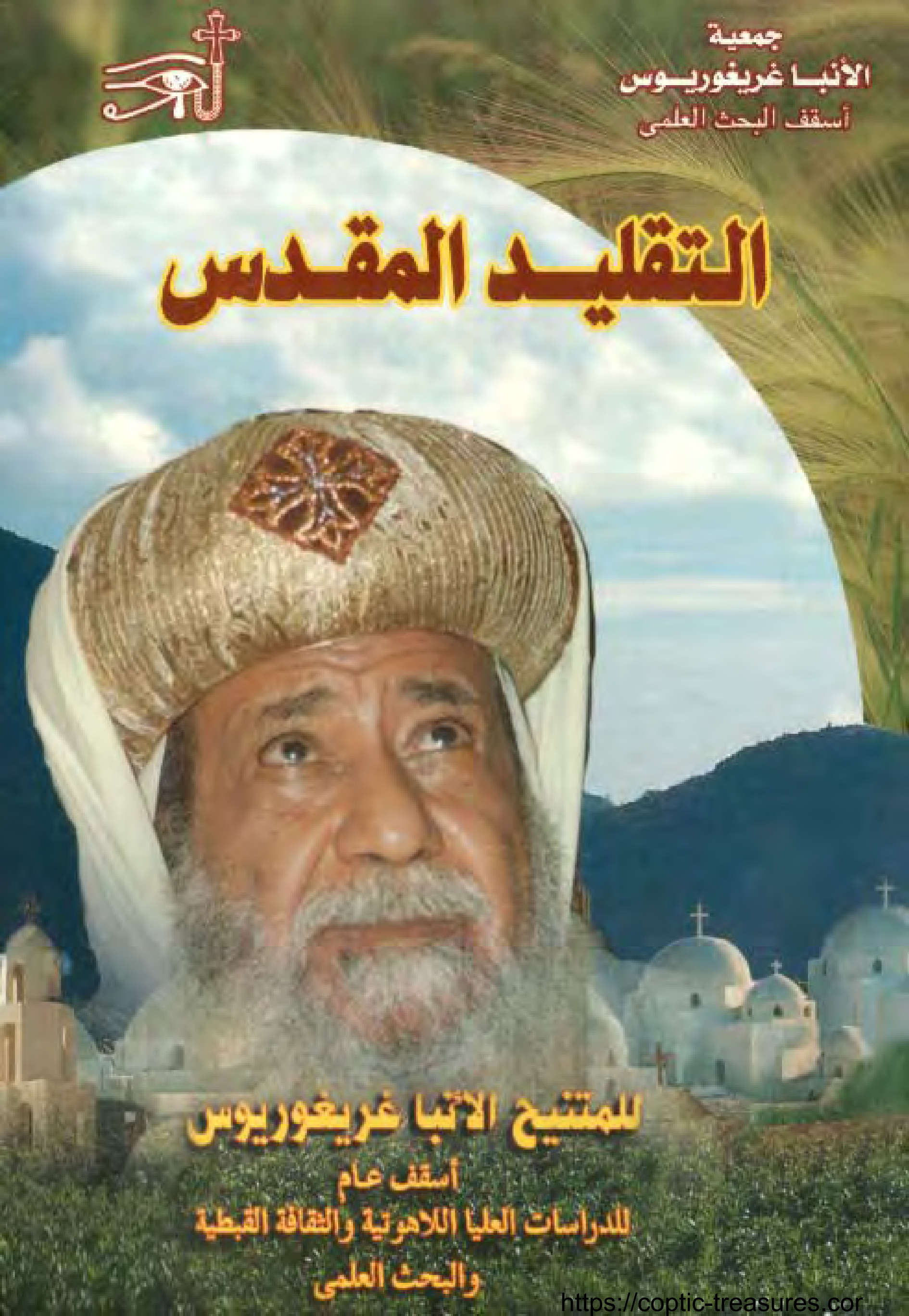

جمعية
الأنبا غريغوريوس
أسقف البحث العلمى
التقليد المقدس
للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى
https://coptic-treasures.cor

٢ ـ فهرس الموضوعات

صفحة

الكتاب : التقليد المقدس.

المؤلف: المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر: جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى المشهرة

برقم ٥٩٤٦ لسنه ٢٠٠٥.

٢١٦ ش رمسيس الدور الثالث شقة ٨ العباسية مصر.

ت: ٤٨٣٣٣٦٣ـ ٦٧٤٩٢٥٠.

الغلاف والجمع: شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣.

المطبعة: شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩.

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٠٣٨ / ٢٠٠٥.

التقليد المقدس (١)

تعتمد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على التقليد كمصدر رئيسى فى إثبات صحة تعاليمها الإلهية، فلئن كانت تعلّم بالكتاب المقدس وتنادى بأنه كتاب موحى به من الله، وتعتبر أقواله من نفثات روح الله، فكذلك تؤمن أيضاً وفى يقين مماثل بالتقليد المقدس، وتعتقد بألوهية مصدره، رافضة من شركتها كل من يشك فى قبوله كتعليم إلهى وكمرجع سماوى.

أهمية البحث فى التقليد

فإذا ما عنينا بهذا البحث عناية خاصة فلأن التقليد المقدس من أهم التعاليم التى تعنى بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتعتمد عليه ـ كما تعتمد على الكتاب المقدس ـ فى إثبات تعاليمها وعقائدها وطقوسها ونظم عبادتها، ثم لأنه الخلاف الرئيسى الأكبر القائم بين الكنائس التقليدية وبين الجماعات البروتستانتية.

فهذه الأخيرة ترفض الإعتقاد به ومن هنا فقد مضت فى طريقها ولم ترتبط بطقوس الكنيسة وترتيبات العبادة فيها، وأخذت بالتالى تبتعد شيئا فشيئا عن المسلمات الأولى، وزاد وجوه الخلاف بينها حتى فيما يتصل ببعض التعاليم المسيحية الأساسية، فذهبت بعض هذه الفرق إلى إنكار التثليث وألوهية المسيح فعادت إلى بدعة أريوس من جديد، كما ذهبت أيضا فرق أخرى إلى

---

(١) نشر فى مجلة المحبة فى ١٦ عدد ـ إبتداء من العدد العاشر ـ السنة الثامنة ـ اكتوبر ١٩٤٢.

إنكار الخلود والجزاء الأخروى، وإذن فالمسألة هامة وخطيرة، عليها يتوقف لا نصرة عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية فحسب من حيث إظهار صحة تعاليمها بالنسبة لتعاليم المخالفين، ولكن يتوقف عليها جدا ثبات المسيحية نفسها كدين إلهى وكمبادئ لو أنكرت لإنهدمت أسس المسيحية المتينة.

وغاية ما نود أن ننتهى إليه من كل هذا أن نتقدم إلى البحث بغير فتور، بل بحمية مقدسة وغيرة إلهية مقتنعين بخطورته وأهميته، مسترشدين الروح القدس حتى نعرف التعليم الصحيح الذى يؤول إلى مجد المسيح.

المحاكاة والتقليد

١ - يجب التفريق بكل إنتباه وتدقيق، بين المحاكاة والتقليد: فإننا قد نستعمل فى اللغة العربية كلمة واحدة وهى «التقليد». ونعنى بها فى وضع معين غير المعنى الذى نقصده بها فى وضع آخر. فإما أن يقصد بالتقليد التعاليم التى يرثها الناس عن أسلافهم. وإما أن يقصد به أن يفعل المرء كما يفعل غيره أى يحاكيه أو يقلده، فالتقليد بالمعنى الأول يختلف إختلافا عظيما عن التقليد بالمعنى الثانى. ولذلك فإننا نستحسن أن نقصر إستعمال كلمة «التقليد» على التعاليم الموروثة من الأقدمين؛ وكلمة «المحاكاة» على القيام بأفعال مماثلة لأفعال الآخرين.

٢ - وإن كنا فيما يتصل باللغة العربية فى حاجة إلى هذا التفريق، لكن الأمر على غير هذا فى اللغات الأجنبية. فالكلمة الفرنسية أو الإنجليزية التى تعنى «المحاكاة» هى: imitation وتفسيرها بالإنجليزية كما هو وارد بالقاموس: that which is made or produced as a copy أى «المماثلة أو الإقتداء»

بينما الكلمة التى تعنى «التقليد» بالدقة هى tradition وتفسيرها بالفرنسية action de livrer أى «التسليم» وبالإنجليزية:

stories etc,handed dowu by word of month from age to age
an old custom .

وترجمة هذا التعريف هى: «التسليمات الشفاهية من جيل إلى جيل؛ أو العادة القديمة» وكلمة «التقليد» تشتق فى اللاتينية من الفعل trado ومعناه بالفرنسية livrer أى يُسلم وبالإنجليزية: :to give or hand over يعطى أو يُسلم.

والمهم من هذا كله. عدم الخلط بين كلمتى «المحاكاة» و «التقليد». وبالطبع لا يعنينا فى هذا البحث أن نتحدث عن «المحاكاة» لأنها تتصل بمباحث علم النفس بل يعنينا الحديث عن «التقليد» فحسب، كما عرفناه بمعناه الدقيق بإعتباره «التسليمات الشفاهية من جيل إلى جيل».

معنى التقليد

ولكن إذا كانت الكلمة الأجنبية tradition أدق ترجمة لها هى «التسليمات» فلماذا تقابلها كلمة «التقليد» فى اللغة العربية؟

الواقع أنه بغض النظر عن المعنى الدقيق الذى تحمله كلمة «التسليمات» مما سنعود إليه فيما بعد. فإن كلمة «التقليد» قد اشتقت فى اللغة العربية من «القلادة» التى تعلق فى العنق. ولذلك فقد جاء فى مختار الصحاح ص٥٤٨ العمود الأول سطر ٣ «ق ل د ـ (القلادة) التى فى العنق و (قلده فتقلد) ومنه (التقليد) فى الدين، وتقليد الولاة الأعمال. وتقليد البدنة أن يعلق فى عنقها شئ ليعلم أنها هدى»

وإذن لقد سمى «التقليد» بهذا الإسم لأن المعترفين به يتخذون من أقوال السابقين الأقدمين «قلادة» فى أعناقهم فلا يترددون فى السير وفقا لها وتبعاً لمقتضياتها.

تعريف التقليد

التقليد فى الإصطلاح الكنسى هو تعاليم الكنيسة وترتيباتها ونظم عبادتها وطقوسها التى وصلت إلينا غير مذكورة فى الكتاب المقدس. بل سلمت إلينا من جيل إلى جيل إبتداء من الرسل الأطهار وآباء الكنيسة فى الأجيال المسيحية الأولى، إما عن طريق الكتابة، أو عن طريق الكلام، أو عن طريق الإستعمال. غير أننا لا نعتمد اليوم على تقليد شفاهى. بل هذه التقاليد مسطورة الآن ومكتوبة فى كتب الكنيسة المقدسة.

أمثلة على التقليد

ومن التقاليد التى تسلمتها الكنيسة وحافظت عليها كوديعة جزيلة الثمن، بمنتهى الإجلال والإعتبار: إبدال السبت بالأحد، ومعمودية الأطفال، ووظيفة الأشابين. والتثليث، وطقوس وممارسة الأسرار، المعمودية وكيفية إتمامها كتغطيس المعتمد ثلاث مرات. وكجحد الشيطان فى المعمودية، والخطبة والإكليل فى الزواج، ثم القداس الإلهى، وكيفية بناء كنيسة العهد الجديد والأصوام والأعياد. ورسم علامة الصليب. والإتجاه نحو الشرق فى الصلاة. واستعمال المزامير فى العبادة ومزج الخمر بالماء فى القداس. وغير هذا من تعاليم وطقوس مما تباشره الكنيسة المقدسة وفقا لأوامر الدسقولية وقوانين الرسل وغيرها من كتب البيعة.

منزلة التقليد

١ ـ إذا كانت التقاليد هى كلام الله غير المكتوب. وإذا كانت الكتب المقدسة هى كلام الله المكتوب، فمصدر الإثنين إذاً واحد وهو الله: أى أن للتقاليد ما للكتب المقدسة من التقديس والإعتبار. كل منهما بأمر الله وإرشاد الروح القدس.

٢ ـ ثم إن الكتب المقدسة كتبها «أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» والتقليدات أيضاً وضعها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس، **فالرسل الذين كتبوا الأناجيل والرسائل بأمر الله، هم الذين رتبوا التقليد بأمر الله أيضاً**. فالواجب أن ينظر إلى التقليد بعين الإعتبار الذى ينظر به إلى الكتب المقدسة الإلهية.

٣ ـ وأخيراً فإن الكتب المقدسة لم تنل هذه الدرجة من التقديس إلا لأن الكنيسة اعتمدتها ككتب إلهية، وشهدت عنها كذلك. **فالكنيسة التى اعتبرت الكتب المقدسة إلهية وقانونية، هى بعينها الكنيسة التى أمرت أن تعتبر التقاليد مقدسة وإلهية**. وإذن فمن هذه الناحية أيضاً يجب أن يكون للتقليد ما للكتاب المقدس من الإجلال والتقديس والإعتبار.

وهذه المساواة فى الإعتبار والمنزلة يؤيدها قول القديس بولس الرسول «فاثبتوا إذن أيها الأخوة، وتمسكوا بالتقليدات التى تعلمتموها، **سواء كان بالكلام** أم برسالتنا» (٢. تس ٢ : ١٥).

مصادر التقليد

للتقليد مصدران جليلان لا ثالث لهما، وعلى ذلك فالتقليد تقليدان:

أ ـ تقليد رسولى:

وهو التقليد الذى وضعه الرسل الأطهار.

١ ـ إما بعد صعود المسيح له المجد، **وقد وضعوه بإرشاد الروح القدس وبالسلطان المعطى لهم من السيد** الذى قال لهم «الحق أقول لكم. كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء. وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء» (مت ١٨ : ١٨) هذا السلطان الذى بموجبه حكم القديس بولس على الرجل الذى دنس إمرأة أبيه فى مدينة كورنثوس فقال: (فإنى أنا كأنى غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح، قد حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا: باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة

ربنا يسوع المسيح أن يُسلم مثل هذا للشيطان، لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع) (١. كو ٥: ٣ ـ ٥).

٢ ـ وإما أن يكون هذا التقليد، **قد أخذه الرسل الأطهار رأساً عن السيد المسيح له المجد**، فى تلك الأوقات التى كان يختلى بهم على إنفراد بإعتبارهم «الذين قد أعطى لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت الله» (مت ١٣: ١١، مر ٤: ١١) هؤلاء الذين أوصاهم بالروح القدس (أع ١: ٢) والذين أراهم أيضاً نفسه حياً «ببراهين كثيرة بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١: ٣).

ومن الأمثلة على التقاليد التى أخذها الرسل الأطهار عن المسيح ربنا، ما أورده الرسل فى الدسقولية فقد قالوا فى الباب الثالث «لأجل الأساقفة هكذا سمعنا من ربنا يسوع المسيح: يجب للراعى الذى تجلسونه أسقفا للكنائس فى كل مكان أن يكون بلا وجـــد ولا علة، ويكون طاهراً من كل ظلم الناس ولا يكون عمره دون خمسين سنة..» ثم الأمانة التى علمها المسيح لرسله القديسين وهى واردة بالباب التاسع والثلاثين من الدسقولية أيضا.

ب ـ تقليد كنسى:

وهو التقليد الذى وضعه آباء الكنيسة الأولى.

١ ـ إما بإرشاد الروح القدس لهم، فقبلته الكنيسة تقليداً طاهراً محافظة عليه بكل أمانة وإهتمام، وذلك بالسلطان المُعطى لهم من قبل الله، بإعتبارهم خلفاء الرسل الذين منحت لهم بحق الخلافة الرسولية، السلطة التى أعطيت للرسل.

٢ ـ وإما أن يكون هذا التقليد قد تسلموه من الرسل بإعتبار أن هؤلاء الآباء قد عاصروا الرسل ونقلوا عنهم ثم سلموه لمن بعدهم وهكذا ظل محفوظا بكل رعاية وعناية حتى اليوم.

وعن هذا يقول القديس أكليمنضس الرومانى من آباء القرن الأول المسيحى وهو تلميذ القديس بطرس الرسول «إن مؤلفاتى تحتوى على ما سمعت من أُناس حفظوا التقاليد الحقيقية كبطرس ويوحنا ويعقوب وبولس أباً عن جد» .

على أن هذه التفرقة بين تقليد رسولى، وتقليد كنسى، لا قيمة لها فى الإعتبار والتقديس، فلا فارق بينهما، بل التقليدات جميعها محترمة ومقدسة، من حيث أن الكنيسة هى التى قبلتها ومنحتها هذه الأهمية وهذا الإعتبار.

أقسام التقليد

ينقسم التقليد المقدس إلى قسمين: أولهما يختص بالتعاليم والعقائد والأصول الإيمانية، وثانيهما يختص بالنظم والطقوس والترتيبات الروحية.

القسم الأول: العقائد والأصول الإيمانية: وهى التعاليم التى تسلمتها الكنيسة من الرسل الأطهار؛ وتناقلها المؤمنون خلفا عن سلف حتى يومنا هذا وستستمر إلى يوم الإنقضاء. وهذه التعاليم يمكن تقسيمها أيضاً إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ **تعاليم وعقائد تؤمن بها الكنيسة**، وقد جاء الحديث عنها واضحاً فى الكتاب المقدس، وكذلك تكلم عنها التقليد المقدس بإيضاح واف.

١ ـ والمثال على ذلك **نزول المسيح إلى الجحيم** فالكنيسة تؤمن أن المسيح على الصليب بعد أن أكمل سر الفداء العظيم أسلم الروح، وذهبت روح

السيد المسيح متحدة بلاهوته إلى الجحيم وهو المكان الذى انطلقت إليه نفوس الأموات وهناك بشرت الأموات بالخلاص الأبدى، ونقلت إلى الفردوس أرواح الذين ماتوا على رجاء الخلاص بالفادى، هؤلاء الذين نظروا المواعيد من بعيد وحيوها وصدقوها».

أما الكتاب المقدس فينص على هذا التعليم صراحة ويقول عن المسيح بلسان النبى داود «لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية (أو الجحيم) ولا تدع قدوسك يرى فساداً» (مز ١٦ : ١٠) ويقول القديس بطرس الرسول «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل خطايانا، البار من أجل الأثمة، لكى يقربنا إلى الله، مماتا فى الجسد، ولكن محيى فى الروح، الذى فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن (الجحيم)» (١ . بط ٣ : ١٨) . وقال أيضاً القديس بطرس الرسول «الذين سوف يُعْطون حساباً للذى هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات فإنه لأجل هذا بُشِّرَ الموتى أيضا لكى يدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح» (١ . بط ٤ : ٥، ٦) ، وقال أيضاً القديس بولس الرسول «إذ صعد إلى العلا سبى سبيا وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد، فما هو إلا أنه **نزل أيضا أولا إلى أقسام الأرض السفلى، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات»** (أف ٤ : ٨) .

وأما التقليد المقدس فقد أوضح أيضاً هذا التعليم ففى صلاة القداس الإلهى يقول الكاهن «نزل إلى الجحيم من قبل الصليب» ويثبت التاريخ ومؤلفات الآباء أن كلسس الفيلسوف الوثنى كان يهزأ بهذه العقيدة قائلا «أظن أن سيدكم حاول فى هذه المهمة إقناع الموتى بعد أن باء بالخيبة فى إقناع الأحياء» فرد عليه

العلامة أوريجانوس بما يبين عقيدة المؤمنين قائلا «سواء إرتضى كلسس أو لم يرتضى؛ فنحن ـ أبناء الكنيسة ـ نؤيد بأن روح السيد بعد أن انسلخت من جسده إتصلت بأرواح الراحلين، لعلها تهدى إلى الحق كل راغب فيه». وقال أيضا القديس أثناسيوس الرسولى من آباء القرن الرابع «مضى الرب إلى أسافل الجحيم ليس بجسده بل بنفسه. . . ونفسه مضت إلى أسافل الجحيم وخلصت الذين هناك».

٢ ـ والمثال على ذلك أيضا **دوام بتولية العذراء** فالأدلة العقلية تؤيد هذه العقيدة، والأدلة الكتابية تسندها، سواء فيما تنبأ به إشعياء أو حزقيال أو فيما ينم عنه خطاب العذراء إلى الملاك عن عزيمة صادقة،ونية ثابتة على البتولية.. إلى آخر تلك الأدلة الناصعة التى تعتمد عليها كنيستنا والتى لن تترك مجالا للشك فى حقيقة دوام بتولية السيدة العذراء.

وأما التقليد فهو ينادى بهذا التعليم بكل جلاء فهو يلقبها «العذراء كل حين» كما نجد ذلك فى (سلام العذراء) الذى مطلعه «السلام لك، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين والدة الإله أم المسيح، أصعدى صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا».

ويفسر القديس أوغسطينوس نبوءة حزقيال ويقول «وما هو معنى (هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح) إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء، وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً».

وقد بين القديس باسيليوس أن دوام بتولية العذراء تعليم مُسلم من التقليد فيقول «إن المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا بزواج العذراء بعد ولادتها السيد

المسيح لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم، وهكذا يقول العلامة أوريجانوس من علماء القرن الثالث «لقد وصل إلينا من التقليد أن بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التى تداولتها الكنيسة المسيحية من أول نشأتها».

٣ ـ والمثال على ذلك «**تلقيب العذراء بوالدة الإله**» فهذا التعليم أيضاً قد أوضحه الكتاب والتقليد. أما الكتاب فيقول «هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» (مت ١ : ٢٣) ويقول أيضا «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى إبنا؛ وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، أبا أبدياً رئيس السلام» (إش ٩ : ٦).

فما دام المولود هو الله بحسب نص الكتاب، فوالدته إذن هى والدة الإله.

والتقليد أيضاً علم بهذا التعليم وقد قال القديس كيرلس الأول عمود الدين «إنى لأعجب من وجود قوم يرتابون فى تلقيب العذراء بوالدة الإله، لأنه إذا كان المسيح إلها فكيف يضن على التى ولدته بلقب أم الله».

ولقد انعقد المجمع المسكونى الثالث فى أفسس سنة ٤٣١م خصيصاً لدحض بدعة نسطور الذى ذهب إلى أن العذراء لا يصح أن تلقب بوالدة الإله فبعد أن فند المجمع رأى نسطور، وحكم عليه بالحرمان وضع مقدمة قانون الإيمان التى ترددها الكنيسة إلى الآن والتى مطلعها «نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم كله..» وهذا هو اللقب عينه الذى تخلعه الكنيسة منذ البدء فى قداسها على العذراء.

+ + +

هذه أمثلة على تعاليم وعقائد تؤمن بها الكنيسة وقد جاء بها التقليد المقدس، كما علم بها الكتاب المقدس.

ب ـ وإما أن تكون التعاليم والعقائد والأصول الإيمانية واضحة في الكتاب المقدس، ومدعمة بالآيات البينات في غير ما لبس وإبهام؛ ثم يأتي التقليد أيضاً بنصوص أوضح وأصرح، فتزداد المسألة وضوحاً فتبدو ثابتة من كل الوجوه بحيث ينقطع عنها كل ريبة وشك.

١ ـ والمثال على هذه التعاليم، **سر الميرون**؛ الذى وإن لم يرد بهذا الإسم في الكتاب المقدس فقد ورد فيه باسم المسحة.

فإذا كان سر المسحة هو سر حلول الروح القدس أو نوال ختم موهبة الروح القدس، فإن السيد المسيح أشار إليه في قوله «من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد» (يو ٧: ٣٨، ٣٩).

وإننا لا نستطيع هنا أن نثبت جميع النصوص الكتابية في الأناجيل والرسائل التي تؤيد سر التثبيت أو المسحة فنشير إلى مواضعها (يو ١٤: ١٦، ١٧، يو ١٦: ٧، ١٣)، (أع ٨: ١٤ ـ ١٧، أع ١٩: ٢ ـ ٦)، (١. كو ٦: ١١)، (٢. كو ١: ٢١، ٢٢، تي ٣: ٥، أف ٥: ٢٦، عب ٦: ٢، ١. يو ٢: ٢٠، ٢٧).

ومع ذلك فنكتفي أن نسجل هنا نص رسالة القديس يوحنا «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد بل

كما تُعَلِّمُكُمْ هذه المسحة عينها عن كل شئ. وهى حق وليست كذباً. كما عَلَّمَتْكُمْ تثبتون فيه» (١. يو ٢ : ٢٧).

تلك آيات من الكتاب المقدس تنطق بهذا السر؛ سر الميرون أو المسحة؛ وتبين أنه ختم موهبة الروح القدس. أما التقليد المقدس فقد تحدث عنه بإيضاح أكثر وسماه باسمه المعروف لدينا اليوم وهو الميرون.

قال الآباء الرسل فى قوانينهم «أيها الأسقف أو القس يجب أن تمسح بزيت ثم تعمد بماء، وأخيراً تختم بالميرون». وقال القديس ديونيسيوس الأريوباغى تلميذ القديس بولس الرسول فى كتابه عن رئاسة الكهنوت: «لكن توجد تكملة أخرى معادلة لهذه (أى للشركة) يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون».

٢ - والمثال على ذلك أيضاً **درجات الكهنوت** فقد تحدث الكتاب عن ثلاث درجات هى الأسقفية والقسيسية والشمامسية.

فقال فيما ذكر عن الأسقفية «صادقة هى الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحاً فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم» (١. تى ٣ : ١، ٢) وقال فيما ذكر عن القسيسية: «وإنتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم الرب» (أع ١٤ : ٢٣) وقال فيما ذكر عن الشمامسية «كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لسانين غير مولعين بالخمر الكثير..» (١. تى ٣ : ٨).

أما التقليد فقد أوضح أيضاً هذه الدرجات وحدد مسئوليات كل رتبة أو درجة وبين أيها أسمى وأرفع بطريقة أصرح وأكثر تفصيلا:

فقد جاء فى القانون الخامس عشر من قوانين الرسل «كل قس أو شماس أو أحد من المعدودين من الإكليروسيين عموما يترك محل سكناه، وينتقل إلى أبروشية أخرى بقصد السكنى الدائمة بدون رأى أسقفه نأمر أن يقطع خصوصاً إذا إستدعاه أسقفه ولم يطع». وجاء فى القانون التاسع والثلاثين من قوانين الرسل أيضا «لا يجوز للقسوس والشمامسة أن يفعلوا شيئا البتة من غير رأى أسقفهم لأنه هو المؤتمن على شعب الرب وهو العتيد أن يحاسب عن أنفسهم» وجاء فى القانون الثامن عشر من قوانين مجمع نيقية المسكونى «ليلبث الشمامسة ضمن حدودهم عالمين أنهم خدام للأسقف وأقل من القسوس».

٣ - والمثال على ذلك أيضا **الصلاة عن المنتقلين** فهذا التعليم يؤيده ما فعله القديس بولس إذ قال عن أنيسيفورس «ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم» (٢. تى ١ : ١٨) ويؤيده قول القديس يوحنا «إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت» (١. يو٥ : ١٦).

وليس هذا مجال الحديث بالتفصيل عن موضوع هام كهذا، وإنما نحن نعرض له كما عرضنا لغيره بإيجاز مكتفين ببعض الآيات التى تعتمد عليها كنيستنا لتثبيت هذا التعليم الإلهى.

أما النصوص التى جاء بها التقليد المقدس فهى أكثر توسعاً وتفصيلاً وإيضاحاً فقد أبانت عن فائدة الصلاة عن المنتقلين، والغرض منها، وكشفت عنه كتقليد رسولى جليل، قال الرسل فى الدسقولية «اجتمعوا بلا كسل إلى البيع واقرأوا الكتب المقدسة ورتلوا على من رقد».

وقال القديس أثناسيوس الرسولى «أما الضحية غير الدموية فهى إستغفار حقانى، إن من كانت عيشته صالحة ولحقه شئ من الهفوات فلينهض له أهله بعد موته ليساعدوه ..» . وقال القديس أوغسطينوس «ينبغى أن لا نرتاب أبداً فى أن صلوات الكنيسة المقدسة والذبيحة الإلهية والصدقات تسعف المنتقلين الذين تقدم لأجلهم لكى يُكثر لهم الرب رحمته غير ناظر إلى ما إستحقته خطاياهم. هذا ما سلمه إلينا الآباء وتحفظه الكنيسة» وقال القديس يوحنا ذهبى الفم «لم يشرع عبثا من الرسل إقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك» هذا فضلاً عن التقليد االعملى المدون فى القداس الإلهى ففيه يُصلى صلوات خاصة من أجل الراقدين.

+ + +

هذه أمثلة عن تعاليم وعقائد نؤمن بها وهى مثبتة صريحاً فى كتابنا المقدس وبطريقة أصرح فى التقليد المقدس. وهذا بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً وما سنذكره فيما بعد يدلنا على أهمية التقليد للتعاليم والأُصول الإيمانية فإنه يؤيد النصوص الكتابية ويفسرها ويكشف عن غوامضها، ويُحدد معناها تحديداً دقيقاً مما يكون من شأنه إستقامة التعليم.

جـ - عقائد مذكورة ضمنا فى الكتاب المقدس، ولكنها ليست واضحة أو صريحة بل كل ما فى الأمر أنه يمكن أن تُستنتج من نصوص الوحى إستنتاجاً؛ ومع ذلك فقد جاء التقليد بنصوص واضحة وصريحة فى شأن إثبات هذه العقائد.

١ ـ والمثال على ذلك: إبدال السبت بالأحد

الحق أن هناك نصوصاً فى الكتاب المقدس تشير إلى إحتفال المسيحيين بالأحد، ولكنها لا تقول صراحة يجب أن يُحتفل بيوم الأحد، أو أن السبت يجب أن يُبدل بالأحد. فأمامنا مثلا قول الأناجيل أن المسيح قام فى يوم الأحد (يو ٢٠) وكذلك حلول الروح القدس على التلاميذ فى يوم الخمسين، يمكن بعملية حسابية بسيطة أن نثبت أن هذا الحادث العظيم كان يوم أحد، ثم يقول سفر الأعمال «وفى أول الأسبوع (الأحد) إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا» (أع ٢٠ : ٧) ثم يقول أيضاً القديس بولس «وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً. فى كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ» (١ . كو ١٦ : ١ ، ٢) وكذلك يقول القديس يوحنا اللاهوتى فى سفر الرؤيا «كنت فى الروح فى يوم الرب» (رؤ ١ : ١٠).

هذه نصوص وردت فى الكتاب المقدس يمكن أن يُستنتج منها أن المسيحيين كانوا يحتفلون بيوم الأحد، ولكن لا نجد مع ذلك نصا صريحاً يأمر بهذا الإحتفال فى يوم الأحد، أو يأمر بإبدال السبت بالأحد.

أما الأمر بهذا الإبدال فقد جاء فى التقليد المقدس بكل صراحة ووضوح. جاء فى الدسقولية الباب الحادى والثلاثين «ثم إن عيد القيامة الذى لربنا ومخلصنا يسوع المسيح لا تصنعوه فى يوم من الأيام الستة إلا يوم الأحد لا غير» وقال القديس أوسابيوس أسقف قيصرية «إن الكنيسة فيما يختص بيوم الراحة إتبعت التقليد الرسولى الذى دام من العهد الرسولى ليومنا الحاضر،

وعليه فلا يناسب أن ننهى صيامنا بيوم غير يوم قيامة مخلصنا، سيما وقد قرر أساقفتنا فى مجامعهم قراراً أرسلوه إلى جميع الكنائس فى كل مكان قائلين: إن سر قيامة ربنا يجب أن لا يُحتفل به إلا فى يوم قيامته المجيدة أى الأحد». وأخيراً قال القديس أوغسطينوس «لقد أمر الرسل والرجال الرسوليون (١)، بأن يُعَيِّد المسيحيون يوم الأحد لأن اليوم الذى قام فيه ابن الله من الأموات يدعى يوم الرب».

فالتقليد إذن هو المصدر الوحيد تقريبا لهذه العقيدة.

٢ - والمثال على ذلك أيضا **«معمودية الأطفال»** حقاً إن الكتاب المقدس أبان ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص فى غير موضع، أما معمودية الأطفال فلم يتحدث عنها صراحة. ولاشك أنه يمكن أن نستنتج ضرورة تعميدهم من نص السيد المسيح الذى يقول بلا إستثناء «إن كان أحد لايولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥) وكذلك يمكننا أن نستنتج أن الذين كانوا يؤمنون كانوا يعتمدون هم وأطفالهم من قول سفر الأعمال عن ليدية بيَّاعَة الأُرجوان «اعتمدت هى وأهل بيتها» (أع ١٦: ١٥) وعن السجان أنه «اعتمد هو والذين له أجمعون» (أع ١٦: ٣٣)، (أع ٢: ٣٨، ٣٩) فليس من المعقول أن تكون هذه البيوت خالية من الأطفال.

وعلى كل حال فهذه النصوص لا تنص صراحة على وجوب معمودية الأطفال أما مصدر هذا التعليم فهو التقليد المقدس، إذ يهتم بتوضيح أهميته

---

(١) الرجال الرسوليون يقصد بهم هؤلاء الآباء الذين عاصروا الرسل، وعاشوا بعدهم مثل القديس ديونيسيوس الأريوباغى، والقديس أكليمنضس الرومانى. الخ.

وإعتباره تقليداً رسوليا طاهراً يجب الإلتزام به. قال العلامة أوريجانوس «إن الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً» وقال القديس أوغسطينوس «إن المعمودية تقليد رسولى، وإن الكنيسة دائما تتمسك بتعميد الأطفال متسلمة إياه من السلف ولم تزل حافظة إياه إلى الآن وسوف تحفظه إلى الإنقضاء أيضاً».

وإذن فالتقليد وحده مصدر هذه العقيدة أيضاً.

٣ - والمثال على ذلك أيضا **وظيفة الأشابين.**

ونعنى بالأشابين، الحُراس أو الأوصياء الذين تقيمهم الكنيسة ليتعهدوا تربية الأطفال تربية مسيحية سليمة، ولاسيما فى حالة الأطفال اللقطاء، أو الذين مات والدوهم فى زمن الإضطهاد أو غيره.

هذا التعليم يمكن أن نعتبره مأخوذاً من سفر الأعمال حيث عهد الرب إلى حَنَانِيا تعليم شاول (أع ٩ : ٢٨) وعهد إلى القديس بطرس تعليم كرنيليوس (أع ١٠) لكن هذه النصوص لا يمكن الإرتكان عليها كنصوص صريحة تصلح حجة قوية لهذا التعليم أى إقامة الأشابين، أما التقليد فهو وحده الذى يوضح ويثبت هذا التعليم بأسلوب يقطع كل شك. قال القديس ديونيسيوس الأريوباغى (وهو تلميذ القديس بولس الرسول). راجع (أع ١٧ : ٣٤) «إن هذا الأمر افتكر به معلمونا الإلهيون (الرسل) ورأوه موافقاً أن يقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف؛ أعنى أن يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمُرَبٍّ صالح؛ وأن يبقى الولد فيما بعد تحت إدارته كأنه تحت عناية أب إلهى وكفيل لخلاص مقدس» وقال القديس يوحنا ذهبى الفم «وإن كان المعمدون أطفالاً أو طرشاً لا

يستطيعون إستماع التعليم فليجاوب أشابينهم عنهم وهكذا يعمدون حسب العادة».

والخلاصة أن في إبدال السبت بالأحد؛ ومعمودية الأطفال، ووظيفة الأشابين تعاليم وعقائد لا نستطيع إثباتها بنصوص من الكتاب المقدس بل من التقليد.

٤ ـ **أما عن التثليث والتوحيد:** فنحن نؤمن (بإله واحد مثلث الأقانيم)، غير أننا لا نجد في الكتاب المقدس نص هذه الجملة بالذات.

وكل ما يمكن أن يُذكر في هذا الصدد إنما هي آيات متفرقة تشير تارة إلى الآب وتارة إلى الابن، وأخرى إلى الروح القدس. وفي بعض المواضع نجد آيات تنص عن الآب والابن والروح القدس معاً، كقول المسيح له المجد لتلاميذه القديسين «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨ : ١٩) وكقول الرسول في ١ . كو ١٢ : ٤ ـ ٦ «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجوده ولكن الرب (يسوع) واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل» وكقوله البركة الرسولية التي لا يزال الآباء الكهنة يتلونها في القداس الإلهي «نعمة ربنا المسيح يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين» (٢ . كو ١٣ : ١٤) كما نجد آيات تشير إلى وحدة هذه الأقانيم كقول السيد «إن الآب فيّ وأنا فيه ـ أنا والآب واحد» (يو ١٠ : ٣٨، ٣٠) كما نسب الروح تارة إلى الآب وأخرى إلى الابن غير أنه ليس لنا في الكتاب المقدس نص صريح يقول بالذات إن **في الله ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس وهذه**

الثلاثة الأقانيم إله واحد، بل إن كلمة اقنوم نفسها لم ترد أيضا فى الكتاب المقدس، وإنما وردت لأول مرة فى كتابات القديس ثاؤفيلس الأنطاكى قبل أواخر القرن الثانى للمسيح، ومع كل ذلك يجب أن ننتبه إلى أن هذا الإعتقاد بعينه أى بالإله الواحد المثلث الأقانيم كان إيمان الكنيسة منذ نشأتها، وكان إعتمادهم فى هذا الإيمان لا على النصوص الواردة بالكتاب المقدس فقط بل على ما تسلموه أيضاً من آبائهم الرسل عن طريق التقليد الذى ظل محفوظاً ومرعياً بكل تدقيق وهو الذى صاغ لنا هذه الحقائق الثابتة فى قالب من الألفاظ البشرية فسهل علينا فهمها وكشف لنا أعماقها.

ولسنا إذن نقرر خافيا إذا قلنا أن **تحديد العقيدة المسيحية فى التثليث على الصورة التى نعرفها اليوم قد وصل إلينا عن طريق التقليد** الذى تسلمناه من رسل المسيح القديسين، ونقله إليها آباء الكنيسة منذ العصور الأولى. وعلى هذا التقليد اعتمد آباء مجمع نيقية، وهو المجمع المسكونى الأول، فى رفض بدعة أريوس الهرطوقى الذى بدأ يفهم التثليث على صورة أخرى غير الصورة التى عرفتها الكنيسة منذ نشأتها، إعتماداً على بعض آيات من الكتاب المقدس. نقول قد اعتمد الآباء فى هذا المجمع أول ما إعتمدوا على التقليد المقدس، وعلى ضوئه فسروا الكتاب المقدس ونصوصه التى حاول أريوس أن يستغلها لتأييد هرطقته المخالفة، وعلى ضوئه أيضا قرروا عقيدة الكنيسة فى صيغ ثابتة ونهائية عرفت «بقانون الإيمان».

٥ - **طبيعة الكلمة المتجسد**: إن إعتقاد الكنيسة المقدسة فى المسيح هو أنه «الله الظاهر فى الجسد» وتؤمن أن اللاهوت حل فى بطن السيدة العذراء

حلولا لا تدركه العقول، واتخذ له من دمها الطاهر جسداً له، اتحد به إتحاداً بدون إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير، كإتحاد النفس بالبدن، وإتحاد الفحم بالنار فى الجمر، حتى أن الكنيسة تستعمل هذا الجمر فى طقوس صلواتها رمزاً لهذه الحقيقة؛ أى إتحاد اللاهوت بالناسوت إتحاداً بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير. إننا نؤمن أن اللاهوت غير الناسوت. وطبيعة اللاهوت غير طبيعة الناسوت. ومع ذلك نعتقد أن هاتين الطبيعتين قد إتحدتا فى طبيعة واحدة. وإذن يمكن أن نلخص معتقدنا فى كلمة موجزة «طبيعة واحدة لها خصائص الطبيعتين».

فهذه العقيدة الهامة التى نالت إهتمام الكنيسة ونقاش أبطالها وعلمائها القديسين وقد تحددت فى المعانى التى أوردناها هنا؛ لا توجد بحرفيتها ونصها أو بأى نوع من التفصيل فى كتابنا المقدس. فنحن لا نستطيع مطلقا أن نلتقى بأية آية ترد فيها بالذات كلمة طبيعة المسيح أو أنها واحدة أو غير واحدة.

لاشك أن هناك آيات كتابية استشهد بها الآباء القديسون عند حديثهم عن هذه العقيدة مثل قول الإنجيل «والكلمة صار جسدا» مما يؤيد القول بالطبيعة الواحدة. ولكن الذى نريد أن نؤكده هنا أننا مدينون إلى التقليد الذى حدد هذه العقيدة وبينها وفصل القول فيها تفصيلاً شافياً كافياً. حتى لم تعد شبهة ولا إلتباس فتبددت به ظلمة الشك وانبلج نور اليقين. ولسنا ننسى فى كل موقف أن ننبه إلى أن آباء المجامع المسكونية الذين تصدوا لبحث هذه العقيدة وتحديدها فى صيغ ثابتة تبدد كل غموض وخطأ فى الإعتقاد، كانوا يعتمدون على التقليد كما كانوا يعتمدون على الكتاب المقدس. وبفضل التقليد أمكن تفسير الكتاب المقدس تفسيراً قويماً بلا عوج أو إلتواء. ولولا التقليد لأمكن أن تُحول

النصوص الكتابية حسب هوى الهراطقة، أما نحن اليوم فنعتمد أيضا لا على التقليد الذى تسلمه الآباء القديسون قبل تحديد هذه العقيدة فقط، بل وأيضا على التقليد الذى تسلمناه منهم خاصاً بهذه العقيدة، فها هو القديس كيرلس الأول عمود الدين ورئيس مجمع أفسس الأول يقرر فى كلمات واضحة «لأننا نحن نقرن الطبيعتين بالإتحاد ونعترف بمسيح واحد. وابن واحد. ورب واحد. وأخيراً نقول: إنها طبيعة واحدة لإبن الله متجسدة».

وليس أقل أهمية مما سبق أن نعرف أن هذه العقيدة كانت معروفة قبل مجمع أفسس وقبل القديس كيرلس. فالقديس أثناسيوس مثلا يقول «كل من اعترف أن جسد مولانا نزل من السماء ولم يقل أنه من مريم العذراء أو قال أن اللاهوت استحال إلى الناسوت واختلط وتغير فإن الكنيسة تحرمه».

والخلاصة أن القول بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، مثل القول بثلاثة أقانيم فى إله واحد، عقيدتان ندين فى تحديدهما وتوضيحهما والتدليل عليهما إلى التقليد ولو أننا نعترف بأن الكتاب المقدس لم يهملهما.

القسم الثانى: - الطقوس والترتيبات الروحية:

لما كان العهد الجديد من أناجيل ورسائل، لم تكن الغاية منه إلا التحدث عن شخصية ربنا يسوع المسيح ليؤمن الناس به، فيجدون فيه حياة وخلاصاً لنفوسهم، أو الرد على أسئلة وجهها بعض المؤمنين إلى الرسل، أو الإشارة إلى ملاحظات عنَّ للرسل إبداؤها للمؤمنين بعد مفارقتهم لهم أو لأنهم لم يستطيعوا أن ينتقلوا إليهم ليبلغوهم إياها، لذلك كله لم يتحدث العهد الجديد عن طقوس العبادة وترتيباتها الروحية على إعتبار أنها تسليمات سلمها الرسل الأطهار إلى

المؤمنين فى كل مكان إنطلقوا إليه. هذه التسليمات أو التقليدات عن طقوس العبادة وترتيباتها الروحية، لايكاد يعلمنا الكتاب المقدس عنها شيئاً، بل كلها وصلت إلينا عن طريق التقليد الذى وصل إلينا من آبائنا الأطهار وكانت الكنيسة أمينة حريصة عليه كما حرصت لنا على الكتاب المقدس. وهذه الطقوس على فرقتين أو نوعين:

أ ـ طقوس أشار الكتاب المقدس إلى وجوب ممارستها ولكنه لم يشر إلى طريقة مباشرتها.

١ ـ والمثال على ذلك **صورة المعمودية:**

فنحن نعرف من الكتاب المقدس أن المعمودية سر مقدس وأنها لازمة للخلاص، وأن بدونها لا يقدر الإنسان أن يرى ملكوت الله وأنها تصيّر قابليها مبررين، مقدسين، مفديين، أولاد لله، ووارثين للملكوت، وأن حق مباشرتها موقوف على كهنة الله العلى بحسب الخلافة الرسولية، كل هذا يمكن أن نستقيه من كتاب الله بنصوص واضحة وصريحة لا مجال لذكرها الآن، ولكن وإن كان تعليم المعمودية وارداً فى الكتاب، فإن الكتاب لا يحدثنا عن طريقة مباشرة المعمودية أو بعبارة أخرى لا يحدثنا عن طقس إتمام المعمودية.

أما التقليد فنصوصه صريحة فى ذلك، وهى توضح أن التغطيس فى الماء يكون ثلاث دفعات، على إسم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس: فقد جاء فى القانون الخمسين من قوانين الرسل «كل أسقف أو قس لا يتمم ثلاث غطسات فى السر الواحد، بل غطسة واحدة تعطى لموت الرب يقطع، لأن

الرب لم يقل عمدوا الموتى (١) بل قال: فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس».

والتقليد لا يعلمنا فقط، فيما يتصل بسر المعمودية، وجوب التغطيس ثلاث مرات، بل كثيراً من الطقوس الأخرى التى تباشر فى المعمودية، كطقس جحد الشيطان وطقس مباركة ماء المعمودية، وما إليهما من طقوس. قال القديس باسيليوس «والفضل للتقليد أيضا حفظه لنا تعاليم مباركة ماء المعمودية وزيت المسحة وتغطيس المعتمد ثلاث غطسات».

٢ ـ والمثال على ذلك أيضا **طقوس مباشرة جميع الأسرار السبعة** التى تؤمن بها كنيستنا، كلها غير موجودة بالكتاب المقدس وإن كان التعليم بوجود هذه الأسرار يستند إلى آيات كثيرة، ومتعددة، واضحة وصريحة، فمثلا وإن حدثنا الكتاب عن سر حلول الروح القدس أو المسحة أو الميرون، ولكنه لم يشرح كيفية إتمامه؛ بل التقليد هو الذى تولى ذلك، وبموجبه تدهن ستة وثلاثون عضواً فى المعتمد، بترتيب معين نص عنه التقليد؛ وتتلى أثناء ذلك صلوات معينة نص عنها التقليد أيضا.

---

(١) معنى هذا أن التغطيس مرة واحدة فى الماء لا يحمل إلا معنى الدفن والموت مع المسيح؛ ولكن التغطيس ثلاث مرات يحمل فوق هذا المعنى، أن الرب لم يظل مدفونا فى القبر إلى الأبد، بل مكث ثلاثة أيام ثم بعد ذلك قام، وهذه الأيام الثلاثة يرمز لها بالتغطيس ثلاث مرات. وهذا يدل على أن طقس التغطيس يتضمن عقيدتين: عقيدة تثليث الأقانيم فى اللاهوت، وعقيدة موت المسيح وقيامته بعد ثلاثة أيام. فما أجله سر، وما أروعه طقس.

٣ ـ وكذلك سر الإعتراف ومسحة المرضى، وسر الزيجة، وسر الكهنوت فكلها واردة بالكتاب المقدس، ولكن طرق مباشرتها، والصلوات التى تتلى أثناء إتمامها لم يرد عنها فى الكتاب المقدس شئ: فالتحليل فى سر الإعتراف وقراءات مسحة المرضى وصلواته، والخطبة فى الزواج وكيفية إتمامها ومراسيم الزواج من صلوات وقراءات ونصائح ووضع أكاليل ومنح البركة الختامية، وكذلك سيامة الشمامسة والقسوس والأساقفة وجميع طغمات الكنيسة، كل هذه الأمور لا موضع لها إلا من التقليد، أى أن التقليد وحده هو الذى شرح موضحاً كيفية إتمام هذه الطقوس التى نص الكتاب المقدس عن صحة التعليم بها وإن لم يشر إلى كيفية مباشرتها.

٤ ـ خدمة القداس الإلهى:

فالكتاب أمر بالصلاة، وحدثنا عن إجتماعات المؤمنين فى عهد الرسل أنهم «كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أع ٢ : ٤٢) وأنهم «كانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة» (أع ٢ : ٤٦) وأنهم «كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته» (أع ١ : ١٤) فلقد أشار الكتاب إلى خدمة الصلاة الجمهورية، وأنها تتألف من «تعليم الرسل»، وهو يقابل قداس الموعوظين، وهو القسم الأول من خدمة القداس الذى تتلى فيه الفصول، ثم «الشركة» وهى تقابل فى قداس المؤمنين قسمه الأول وهى تقديس الأسرار، ثم «الصلوات» وهى تقابل فى قداس المؤمنين قسمه الثانى والذى فيه تتلى صلوات عن الكهنة والشمامسة والشعب والملك والأهوية والثمار والقرابين وعن المرضى والمنتقلين

والمسافرين.. الخ أما الذبيحة غير الدموية فهى العهد الأفضل والأكمل وبها يعلن شكرنا وشركة حبنا وإستغفارنا وبها صار إكتفاؤنا عن موائد المحبة، وعلى كل حال فليس هذا مجال الحديث عن خدمة القداس إلا من وجهة نظر واحدة: وهى أن القداس وإن كانت الإشارة إلى أقسامه ومحتوياته منصوص عنها فى الكتاب المقدس، لكن التقليد وحده هو الذى نقل إلينا نصوص الصلوات وطقوس القداس وترتيباته، وكل ما يتلوه الكاهن والشماس والشعب كل بحسب رتبته، وما يلبسه الكهنة والشمامسه، ونظام التبخير ومباركة الشعب ورفع القرابين، وبالإجمال سائر ما نراه من طقوس رائعة جميلة ترفع العقل والحواس إلى حيث الله فى السماء مع الملائكة والقديسين.

٥ ـ نظام بناء الكنيسة:

إن الله تعالى أمر ببناء كنيسة العهد القديم، ولم يترك لشعبه حرية بناء الكنيسة أو الهيكل كما يرون، بل حدد ذلك ورسم كل شئ حسب إرادته المقدسة. وقد اهتم أن يكلم موسى نبيه العظيم عن كل ما يريد أن يكون عليه هيكله المهوب؛ ولم يترك أن يخاطبه عن الدقائق والتفاصيل فضلا عن الأمور الرئيسية الهامة. ويحسن للتحقق من هذا، الرجوع إلى سفر الخروج إبتداء من الأصحاح الخامس والعشرين إلى نهاية الأصحاح الثلاثين، ولم يكتف السيد الرب بهذا بل أظهر لموسى النبى على الجبل المقدس مثال كل شئ مما أمره به «وانظر فإصنعها على مثالها الذى أُظهر لك فى الجبل» (خر ٢٥ : ٤٠).

هذا فيما يختص بكنيسة العهد القديم، أما كنيسة العهد الجديد فلسنا نجد شيئاً عن نظام بنائها فى كل أسفار العهد الجديد: إننا نلتقى بنصوص كتابية تبين أن

إجتماعات المؤمنين كانت تعقد فى مكان خاص هو الكنيسة، من ذلك قول سفر الأعمال عن الرسولين الطاهرين القديسين بولس وبرنابا «إنهما إجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة» (أع ١١ : ٢٦) وقول القديس بولس فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس «لتصمت نساؤكم فى الكنائس» (١.كو ١٤ : ٣٤). ومع ذلك فلم يتحدث العهد الجديد عن نظام هذه الكنيسة وكيفية بنائها. وإن قال قائل إننا نكتفى بما أورده الله عن نظام كنيسة العهد القديم، نقول إن مجئ السيد المسيح من شأنه أن يُغَيِّر من نظام كنيسة العهد القديم نظراً لأن كثيراً جداً من أنظمة العهد القديم كان يرمز إلى حقائق العهد الجديد، فلابد أن نعمل حساباً لهذا التغيير، ولكن العهد الجديد لم يتحدث لا عن النظام الجديد ولا عن التغيير فمن أين نستقى نظام كنيسة العهد الجديد إذن؟.

التقليد وحده هو مرجعنا فى هذا الأمر، فهو الذى أسهب كثيراً فى شرح هذا النظام وبينَ الحكمة الروحية فى كل دقائق هذا النظام وتفاصيله، فحدثنا عن التصميم الخارجى للكنيسة وتصميمها الداخلى، عن طولها وعرضها، وقبابها ومنائرها وأجراسها، ثم عن التصميم الداخلى وتقسيم الكنيسة إلى هيكل يحتويه المذبح وكل آنيته، ومكان لوقوف الشعب ومحتوياته، يفصل بينهما حجاب تُعلق عليه صور وإيقونات للمسيح الرب وأمه الطاهرة، ورسله وقديسيه.

٦ - الأصوام:

ما أكثر نصوص الكتاب المقدس فى تعليم الصوم ووجوب ممارسته سواء فى العهد القديم أو فى العهد الجديد، وما أكثر المواضع التى نلتقى فيها بكلمة الصوم سواء فى كلمات أو تصرفات فادينا ومخلصنا يسوع المسيح أو فى

كلمات وتصرفات رسله الأطهار. وفى إيجاز نقول إن المسيح صام فعلاً، ثم قال «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم» (مز ٩ : ٢٩) وكذلك الرسل صاموا فعلاً «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول» (أع ١٣ : ٢) ثم قالوا «في أصوام مراراً كثيرة» (٢. كو ١١ : ٢٧) ولئن قرر الكتاب المقدس مبدأ الصوم، أبان عن أهميته ولزومه لحياة الغلبة والإنتصار، ولكنه لم يحدثنا (على الأقل فى العهد الجديد) عن نظام الصوم وكيفية مباشرته وإنما الذى علمنا هذا النظام هو التقليد.

فالتقليد، والتقليد وحده؛ هو الذى تحدث عن عدد الأصوام، ومواعيدها ومناسباتها ومدتها، مقدما عن ذلك الأسباب الوجيهة التى تبين الغرض من كل صوم والحكمة فى مناسبته، والسبب فى تحديد مدته بهذا القدر المعين من الأيام، والتقليد أيضاً هو الذى عرفنا ما هى الأطعمة التى تتناول فى الصوم، وأنها خالية من الدسم، وأنها تكون عقب الإنقطاع إلى ساعة متأخرة أقلها الثانية عشرة ظهراً وأنه يتحتم على المؤمنين الصوم فى هذه المناسبات التى حددتها الكنيسة؛ وأنه لا يعفى من ذلك إلا المرضى والمسافرون: قال الرسل فى القانون التاسع والستين «أى أسقف، أو قس، أو شماس، لا يصوم صوم الأربعين المقدسة الذى يسبق الفصح، وكذلك صوم يومى الأربعاء والجمعة، فليقطع، إلا اذا كان عدم صومه ناشئا عن مرض جسدى. وأما العالمى الذى يفطر فى أيام الصوم، فليفرز».

٧ ـ الأعياد :

من الحق أن يقال إننا نجد من إحتفال مخلصنا بالأعياد وعدم إعتراضه عليها ثم من تصرفات الرسل الأطهار، ما يعلمنا وجوب الإحتفال بالأعياد وتقديسها فهذا هو الرسول بولس فى أفسس «وإذ كانوا يطلبون أن يمكث عندهم زمانا أطول لم يجب؛ بل ودعهم قائلا ينبغى على كل حال أن أعمل العيد القادم فى أورشليم» (أع ١٨ : ٢٠ ، ٢١) . وهذه فى الواقع إشارة عابرة لم يقصد بها الرسول الحديث عن الأعياد بالتفصيل بل وردت فى عرض حديثه إلى الأفسسيين الذين ألحوا عليه بالبقاء. أجل وإن كانت هذه الإشارة ومثيلاتها تثبت لنا إحتفال الرسل و المسيحيين بالأعياد؛ لكنها لم تبين لنا ما هى الأعياد التى نحتفل بها. نعم إن الرسول العظيم فى رسالته إلى كورنثوس يشير إلى أن عيد الخمسين أى عيد حلول الروح القدس هو أحد هذه الأعياد «ولكننى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين» (١ . كو ١٦ : ٨) لكنه لم يتحدث عن بقية الأعياد. وليس بخاف إننا نحتفل بأربعة عشر عيداً سيديا خاصة بحوادث السيد المسيح كميلاده وعماده وقيامته وما إليها، ما عدا أعياد العذراء الطاهرة والرسل القديسين والشهداء، فهذه الأعياد لم ترد بالتفصيل فى الكتاب المقدس، ولم يحدثنا الكتاب عن مواعيدها ومناسباتها، ولا عن كيفية الإحتفال بها كما هو مشاهد مثلا فى عيد القيامة المجيد وكيف تمثّل الكنيسة حوادث القيامة بتمثيل رائع أخاذ بمجامع القلوب يملأ القلب رهبة وخشية، ويفيض على الروح فرحاً سمائياً. فإذا أردنا أن نعرف مصدر كل هذا فهو التقليد المقدس (راجع الدسقولية الباب الثامن عشر، والباب الحادى والثلاثين ثم كتاب القوانين الباب التاسع عشر، وكتب الكنيسة) .

وبهذا تختم الحديث عن طقوس وترتيبات روحية أَمَرَ الكتاب المقدس بوجوب مباشرتها، ولكنه لم يتناول طريقة مباشرتها أو كيفية ممارستها.

ب - الطقوس التى أَمَرَ التقليد وحده بوجوب ممارستها ومع ذلك فهى تتفق فى روحها مع روح الكتاب المقدس ونصوصه.

١ - والمثال على ذلك **«رسم علامة الصليب المقدس».**

أجل لقد قال الرسول «إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله» (١. كو ١ : ١٨) وقال أيضا «وأما جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم».

ومع ذلك يمكن أن يقال إن هذين النصين الواردين فى الكتاب المقدس لا يدلان إلا على فعل كلمة الصليب فى حياة المؤمنين من ناحية، ومع أن الصليب موضوع فخار وتشريف من ناحية أخرى، ولكننا لا نستطيع أن نجد فيهما أمراً بوجوب رسم الصليب وممارسته كطقس من طقوس العبادة، كما لا نجد فيهما ما يشرح لنا كيفية رسم الصليب، ولا علة رسمه، ولا الفوائد التى نجنيها لنفوسنا من ممارسة هذا الطقس، فإن صح هذا فنجيب أن التقليد هو الذى أمرنا برسم الصليب وأوضح لنا كيفية ذلك، وقد شهد بهذه الحقيقة القديس باسيليوس فى قوله «تعلمنا من التقليد أن نرسم الصليب على جبهتنا وعلى سائر الأمكنة» ثم أيدها العلامة ترتليانس من آباء القرن الثانى بقوله «إن المسيحى الحقيقى يرسم دائما على نفسه إشارة الصليب عند خروجه من البيت

ودخوله فيه، عند رقاده وإنتباهه، عند لبس ثيابه، وعند تناول الطعام وجلوسه، وفى جميع أعماله. وإن سألكم أحد عن مصدر ذلك، فقولوا إنها من «التقليد» وأن العادة تثبتها والإيمان يؤكدها».

٢ ـ والمثال على ذلك أيضا «**الإتجاه نحو الشرق فى الصلاة**» ويدخل تحت هذا الباب وجوب بناء الكنائس إلى الشرق، فهذا التعليم أو الطقس قد أمر به التقليد الرسولى وحده، وإن كان من الحق أن يقال إن تفضيل الشرق على بقية الإتجاهات الأصلية يقوم على نصوص وشواهد من الكتاب المقدس.

جاء فى قوانين الرسل: «وتكون الصلاة وتقام المعابد، جهة الشرق. وفى الصلاة يجب الإتجاه نحو الشرق» وجاء أيضا فى الباب العاشر من الدسقولية (تعاليم الرسل). «وأولا: ليكن البيت الذى هو الكنيسة، مستقبلا إلى الشرق فى طوله».

وجاء فيه أيضا «وبعد ذلك عند خروج الموعوظين والمبتدئين فى التوبة ينظرون إلى الشرق ويسألون الله الذى صعد إلى سماء السماء فى المشرق».

٣ ـ ومن ذلك أيضا «**وجوب إستعمال المزامير فى العبادة**».

حقا لقد سار داود فى عبادته على هذا الأساس وكان يصلى لله قائما سبع مرات فى اليوم ولذلك يقول «سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك» (مز ١١٩ : ١٦٤) أما أن يصبح سلوك داود أمراً يجب إتباعه مع جميع أبناء الكنيسة فهذا لم يأمرنا به الكتاب المقدس وإنما أمرنا به التقليد الرسولى متبعاً فى ذلك روح الكتاب ونصه، ونظمت هذه الصلوات السبع فى كتاب خاص معروف بالأجبية وهى كلمة قبطية معناها «ساعة» إشارة إلى السبع الصلوات

الليلية والنهارية التى نصلى بها: وهى عبارة عن مزامير النبى داود مضافاً إليها صلوات روحية عميقة تمجيداً وتسبيحاً للمسيح إلهنا مع أبيه الصالح وروحه القدوس.

وقد عرفنا هذا الطقس ووجوب مباشرته لا من التقليد العملى فحسب بل من قوانين الرسل كذلك ومن الدسقولية (الباب السابع والثلاثين).

٤ - والمثال على ذلك أخيراً «**مزج الخمر بالماء فى القداس**».

وليس من شك فى أن الإنجيل لم يذكر أن المسيح فعل ذلك فى ليلة آلامه، فضلا عن أن الرسل الأطهار لم يذكروا ذلك صراحة، ولكن فرق بين أن يغفل الكتاب ذلك وبين أن ينفيه، فالتقليد هو الذى نقل إلينا هذا الطقس، ونصوص الكتاب المقدس نفسها لا تنفيه ولا تنكره، بل توافقه وتؤيده إذ أن مزج الخمر بالماء يشير إلى الماء والدم اللذين سالا من جنب المخلص عند صلبه.

ولقد أيد القديس كبريانوس من آباء القرن الثالث نسبة هذا الطقس إلى التقليد بقوله «من التقليد تعلمنا مزج الخمر بالماء فى القداس».

إلى هنا نكون قد إنتهينا من الكلام عن أقسام التقليد، ومنه يتبين لنا إلى أى مدى يبلغ مركز التقليد فى تأييد الحقائق الإيمانية التى نعتقد بها، والطقوس الروحية التى نباشرها، مما يؤكد لنا أن لا غنى لنا عن التقليد الرسولى فى الكنيسة المسيحية، وأن التقليد بالإضافة إلى الكتاب المقدس والمجامع المسكونية المقدسة يُكَوِّن منها المصادر التى نستقى منها التعليم المسيحى الرسولى كما تنادى به الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

أنواع التقليد

التقليد من حيث أنواعه ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول - التقليد الشفاهى

ونعنى به التسليمات التى وصلت إلينا خلفا عن سلف، عن طريق التعليم بالكلام فتناقلها المؤمنون بمزيد الإعتبار والإجلال، محافظين عليها بغاية الدقة والأمانة.

وإلى هذا النوع من التقليد أشار الرسول فى رسالته إلى تلميذه الأسقف قائلا: «وما سمعته منى بشهود كثيرين، أودعه أُناسا أمناء، يكونون أكَفاء أن يعلموا آخرين أيضا» (٢. تى ٢ : ٢) أى أن القديس بولس لم يسجل تلك التعاليم والأقوال والنصائح والإرشادات فى رسالته وإنما سلمها إلى تلميذه مشافهة؛ وطلب إليه أن يسلمها بدوره إلى أُناس آخرين أكفاء فى التعليم والتدبير.

وإننا نلاحظ بدقة قول الرسول «أودعه أُناسا أمناء» وهو يظهر لنا أن التعليم الرسولى وديعة تُودع وليس كلاماً يُقرأ، ومنه نتبين أن التعليم الرسولى من حيث هو وديعة هو أيضا تقليد يتسلمه اللاحقون من السابقين، والمتأخرون من المتقدمين، والخلف من السلف، والأبناء من الآباء. ولازال القديس بولس يلح فى رسائله على تلميذه تيموثيئوس أن يحرص بغاية الدقة على حفظ الوديعة الطاهرة؛ وديعة التعليم الرسولى، التى أودعه إياها؛ فلا يزيد عليها ولا ينقص منها؛ فيقول له فى موضع آخر «احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا» (٢. تى ١ : ١٤).

على أنه لكى توقن أن الوديعة الصالحة التى أوصى الرسول تلميذه بحفظها هى وديعة التعليم الرسولى الذى تسلمه القديس تيموثيئوس من معلمه الرسولى، عُدْ إلى ما قبل هذه الآية مباشرة تجده يقول له: «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع، احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا» (٢. تى ١ : ١٣، ١٤).

وكذلك يشير الرسول إلى هذا التقليد الشفاهى مرة أخرى حين يكتب فى رسالته الثانية إلى كنيسة التسالونيكيين قائلا «فإثبتوا إذن أيها الإخوة وتمسكوا بالتقليدات التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢. تس ٢ : ١٥).

ولئن كان البروتستانت حاولوا أن يتخلصوا من هذه الإشارة إلى التقليدات وكتبوها على غير ما تقتضى أمانة الترجمة، كما سنتحدث عن هذا بالتفصيل فيما بعد، إلا أن جميع النصوص فى شتى النسخ الخطية والمطبوعة للكتاب المقدس فى سائر اللغات والطبعات ما عدا طبعات البروتستانت، ترجمت هذه الآية على النحو الذى أثبتناه هنا. ومهما يكن من شئ فإن الآية الرسولية تشير فى صراحة إلى تقليدات أو إلى أمور تعلمها التسالونيكيون أخذاً عن القديس بولس بالمكاتبة وبالمشافهة. لأنه يقول «سواء كان بالكلام أم برسالتنا» ولما كان حديثنا هنا عن التقليد الشفاهى فقط مرجئين الحديث عن التقليد الكتابى، فيكفى مؤقتا أن نبين أن التقليد الشفاهى تعليم رسولى تؤيده آية الرسول التى نحن بصددها الآن.

وفى الإمكان أن نستطرد طويلا لنتحدث عن هذا التقليد الشفاهى كما أشارت إليه رسائل القديس بولس، لكننا نجد فى هذا ما يكفى، لنترك مجالاً

لأقوال رسولية أخرى سجلها الإنجيليين الآخرين.

ومن ذلك ما قاله القديس يوحنا الرسول «إذ كان لى كثير لأكتب إليكم، لم أرد أن يكون بورق وحبر، لأنى أرجو أن آتى إليكم، وأتكلم فماً لفم» (٢. يو ١ : ١٢) . وهذا معناه أن الكتاب المقدس لم يتسع لتسطير كل شئ؛ ولا تكفى الرسائل لكل ما يريد أن يبلغه الرسول للمؤمنين، لأن التعليم الرسولى لا يبلغ إلى النفوس بنفس القوة التى يريدها الآباء الرسل إلا إذا كان هذا التبليغ مشافهة ومجابهة وجهاً لوجه، ومن أجل هذا، لم يكتب الرسل القديسون رسائلهم إلا لقوم سبقوا هم فبشروهم، ولم يكتبوا إليهم إلا ليذكروهم بتعليم قديم علموهم به، أو لكى يجيبوا على أسئلة وجهها المؤمنون إليهم بعد إنتقالهم عنهم. أما إن أرادوا تبليغ حقيقة جديدة قد لا يطمئنون إلى نجاح الرسالة فى تبليغها، فإنهم كانوا يرجئون ذلك إلى حيث يتقابلون معهم وجها لوجه، ويتكلمون إليهم فماً لفم ـ وهذا كله معناه التقليد الشفاهى لأن الرسل يسلمون تعاليمهم مشافهة ويتولى سامعوهم تسليمها لغيرهم مشافهة أيضا حتى يطمئن إلى صحة التعليم وصحة فهمه وتفسيره وحقيقة تأويله على وجهه الصحيح الذى قصده الرسل الأطهار. ولاشك أن هذا واضح لأنه كثيراً ما تكون الكتابة غير مستطيعة أو عاجزة عن أن تنقل الإيضاحات الكافية لإقناع المخاطبين ما لم تكن هناك أيضا مقابلة شخصية يجرى فيها الحديث بين المتكلم الرسولى والسامعين المؤمنين.

وقد تحدث الرسول نفسه فى مرة أخرى وفى رسالة أخرى بهذه اللهجة وبهذا الأسلوب فقال «وكان لى كثير لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب إليك بحبر وقلم ولكننى أرجو أن أراك عن قريب، فنتكلم فما لفم» (٣. يو ١ : ١٣) .

وفى إنجيل القديس لوقا نلتقى بهذا النوع من التقليد الشفاهى، فقد قال فى فاتحة إنجيله «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلوس لتعرف صحة الكلام الذى علِّمتَ به» (لو ١ : ١ ـ ٤).

فالقديس لوقا يقول إن الأخبار عن السيد المسيح قد «تسلمتها» ممن كانوا شهوداً وتابعين للمسيح له المجد قد رأوه بعيونهم، وسمعوه بآذانهم وشاهدوا أحداث ولادته وملابساتها بنفوسهم؛ ولمسوها بأيديهم، وهم والدة الإله مريم العذراء، ورسله الأطهار وتلاميذه المباشرون الذين قال واحد منهم «الذى كان من البدء؛ الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه؛ ولمسته أيدينا... الذى رأيناه وسمعناه؛ نخبركم به؛ لكى يكون لكم أيضا شركة معنا» (١يو ١ : ١، ٣) .

أى أن مار لوقا قد تسلم هذه الأخبار التى يرويها فى إنجيله، من شهود أمناء لم يكتبوها فى كتب وإنما رووها له مشافهة، وهو نقلها عنهم بمزيد الحرص «إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق».

والحقيقة أننا لا نستطيع بحال أن ننكر قيمة التقليد الشفاهى لأنه هو الأساس الأول الذى نقل الديانة المسيحية إلى المؤمنين الأولين الذين كانوا يسيرون فى حياتهم الروحية وسلوكهم الإيمانى لا على نص كتابى أو قول مسطور بل على ما تسلموه شفاهاً عن رسل الله المكرمين.

يقول القديس أكليمنضس الرومانى «إن مؤلفاتى تحتوى على ما سمعت من أُناس، حفظوا التقاليد الحقيقية كبطرس ويوحنا ويعقوب وبولس أباً عن جد» وهو

يعنى التعاليم التى سمعها مباشرة ومشافهة عن رسل المسيح، الذين بدورهم تسلموا هذه التعاليم عن السيد المسيح، كما تسلموا بعض الأمور الإلهية الأخرى عن آباء الكنيسة اليهودية الأولى.

وملاك القول إن المسيحية فى نشأتها تقليد شفاهى تسلمه الرسل من المسيح ونقلوه بأمانة إلى المؤمنين؛ وهذا هو النوع الأول من التقليد الرسولى.

النوع الثانى: التقليد الكتابى

والتقليد الكتابى هو التعاليم الرسولية التى وصلت إلينا مسطورة فى كتب مقدسة، سطرها الرسل الأطهار فى مناسبات مختلفة، وسلموها للكنيسة ذخيرة تحوى تعاليمهم الإلهية. وقد صانت الكنيسة المؤتمنة على وديعة الإيمان هذه الكتب المقدسة من التلف والضياع، كما صانتها من الزيادة والنقصان، على الرغم مما قاسته الكنيسة من عناء وإضطهاد فى سبيل محافظتها على هذه الوديعة الطاهرة.

هذه الكتب المقدسة عندنا مراجع رسولية جليلة الإعتبار، نحتكم إليها فى شتى الشئون الكنسية من إيمانية وروحانية وعقائدية وطقسية وسياسية.

وهذه الكتب ثلاثة: أولها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد؛ وثانيها تعاليم الرسل المعروفة بالدسقولية، وثالثها قوانين الرسل.

ومع أن هذه الكتب لم تكتب فى وقت واحد، إلا أنها جميعا متفقة فى روحها تؤلف وحدة منسقة لا تناقض فيها ولا إختلاف. وذلك لأن الروح التى أملتها روح واحدة، ولأن النبع الذى اغترف منه الآباء الرسل هذه التعاليم هو

نبع الروح القدس الذى كان يرشدهم ويسوقهم إلى تسطير ما يلائم أن يكون دستوراً للكنيسة الطاهرة.

ولنا كلمة موجزة فى كل من هذه الكتب الثلاثة.

أولا: الكتاب المقدس

ويتضمن العهد القديم والعهد الجديد؛ ويشتمل على ثلاثة وسبعين سفرا مقدسا.

١ - **العهد القديم** - ويحتوى على ستة وأربعين كتاباً، بحسب إعتقاد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وجميع الكنائس الرسولية الأرثوذكسية فى مختلف الشعوب والأمم والأجناس، وهى على الترتيب أسفار التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، يشوع بن نون، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثانى، الملوك الأول، الملوك الثانى، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثانى، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت؛ استير، أيوب، المزامير (وعددها مائة وواحد وخمسين مزمورا)، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، الحكمة، يشوع بن سيراخ، إشعياء؛ إرميا، مرائى إرميا، باروخ، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموص، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجى، زكريا، ملاخى؛ المكابيين الأول، المكابيين الثانى.

والمتأمل فى هذه القائمة يلاحظ فيها سبعة أسفار أثبتناها هنا ولم تثبتها النسخة البيروتية وهى أسفار طوبيا، يهوديت؛ الحكمة، يشوع بن سيراخ، باروخ، المكابيين الأول، المكابيين الثانى. على أن حذف البروتستانت لهذه الأسفار لا ينهض دليلاً ضد صحة قانونيتها، مادام الإجماع العام قد أثبت

قانونيتها عند جميع الكنائس الأرثوذكسية في سائر أنحاء العالم من يونانيين وكلدان وسريان وقبط وأحباش... الخ، فضلاً عن الكاثوليك في مختلف البقاع والأنحاء، هذا وإن حذف هذه الأسفار من الكتاب المقدس طبعة البروتستانت لم يتم إلا في سنة ١٨٣١م، مع ملاحظة أن نسخة اليهود السبعينية بل وجميع النسخ القديمة التي عُرفت في العصور الرسولية الأولى، قد احتوت هذه الأسفار ضمن أسفار الكتاب المقدس القانونية. بل وقد ذكرها الآباء الرسل في كتاب «قوانين الرسل» حيث أثبتها الرسل ضمن الكتب التي أوصوا بقبولها في البيعة المقدسة ككتب إلهية قانونية، وذلك في القانون الخامس والخمسين من المجموعة الثانية من قوانين الرسل (فإذا أردت أن تستوفي هذا البحث راجع ما أدرجناه بخصوص هذا الموضوع تفصيلياً في كتابنا: رسائل ودية للخارجين عن الأرثوذكسية).

ب ـ **العهد الجديد** ـ وعدد أسفاره سبعة وعشرون وهي: أناجيل القديسين متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وأعمال الرسل، ورسائل مار بولس الأربعة عشر (رومية وكورنثوس الأولى، وكورنثوس الثانية، وغلاطية وأفسس؛ وفيلبي، وكولوسي، وتسالونيكي الأولى، وتسالونيكي الثانية، وتيموثيئوس الأولى، وتيموثيئوس الثانية، وتيطس، وفليمون، والعبرانيين) ورسائل مار يعقوب، ومار بطرس الأولى، والثانية، ومار يوحنا الأولى، والثانية، والثالثة، ومار يهوذا الرسول، ورؤيا القديس يوحنا اللاهوتي.

والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، يدور حول محور واحد، وهذا المحور الواحد هو الفادي ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. فالعهد القديم يتحدث عن المسيح الآتي، أو الذي سوف يأتي ليخلص شعبه من خطاياهم.

والعهد الجديد يتكلم عن المسيح الذى أتى، وسيأتى أيضا فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات.

على أننا قد اعتبرنا الكتاب المقدس تقليداً رسولياً، مع أن الرسل لم يكتبوا منه غير عهده الجديد فقط. وذلك لأن الرسل القديسين بعد أن أكملوا العهد القديم بتسطيرهم للعهد الجديد، قد ضموهما معاً واعتبروهما الكتاب الكنسى الذى يجب أن يقرأ فى كنيسة المسيح بعهديه القديم والجديد. فأخذ المسيحيون عنهم هذا المأخذ بالطاعة والرضى وحسبوا هذا الأمر الرسولى قلادة ثمينة قلدوا بها أعناقهم؛ فأصبح تقليداً رسوليا يجب العمل به.

وثمة إعتبار آخر، وهو أن الكتاب المقدس وديعة سلمها الرسل الأطهار إلى آباء الكنيسة وقد حرص الآباء من جيل إلى جيل على صيانة هذه الوديعة والذود عنها وصيانتها من كل تحريف وزيادة ونقصان؛ من أجل هذا وذاك نعتبر الكتاب المقدس تقليداً رسولياً.

وإذن فالكتاب المقدس هو الكتاب الذى سطره رسل الكنيسة، وأوتمن عليه آباء الكنيسة فى سائر العصور وحفظوه بكل عناية حتى سلموه إلينا وديعة كاملة سليمة طاهرة. وعلى ذلك فلا نذكر الكتاب المقدس إلا ويجب أن نشير إلى فضل الكنيسة فى حرصها على سلامة الكتاب المقدس من الضياع أو التحريف: وهذا يزيد شعورنا ويقيننا فى أمانة الكنيسة، ويدعونا لأن نقتبل سائر وصايا الكنيسة بوصفها أوامر الله وصلت إلينا محمولة على أيدى طاهرة صادقة أمينة وهى تقاليد رسولية حافظت عليها الكنيسة كما أن الكتاب المقدس تقليد رسولى حافظت عليه الكنيسة أيضا.

ثانياً : «قوانين الرسل»

ولا يقتصر التقليد الكتابى على الكتاب المقدس وإنما يشمل أيضاً الكتب المنسوبة إلى الرسل الأطهار، ويمكن أن نصطلح على تسميتها بالتقليد الكتابى الرسولى : ثم كتب آباء الكنيسة القديسين فى أقدم العصور، وندعوها التقليد الكتابى الكنسى.

التقليد الكتابى الرسولى :

أما الكتب المنسوبة إلى الرسل فهى أولاً : قوانين الرسل ؛ وثانياً : تعاليم الرسل وتعرف بالدسقولية أو أوامر الرسل.

ولسنا نريد الآن أن نتعرض لإثبات صحة وقانونية هذه الكتب وحقيقة نسبتها إلى آبائنا الرسل؛ فهذا الموضوع سنفرد له بحوثا مستفيضة فيما بعد عندما نفرغ من إثبات التقليد على أنه المصدر الثانى من مصادر التعليم المسيحى. ولكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى أن هذه الكتب قد أجمعت على صحتها الكنائس الشرقية وأنها تؤلف ما يدعى بالتقليد الكتابى الرسولى.

أولاً : قوانين الرسل :

وقوانين الرسل هى القضايا والأحكام التى أوصى بها الرسل جماعة المؤمنين من الأساقفة والقسيسين والشمامسة وجميع أفراد الشعب المسيحى، وأوجبوا عليهم العمل بها، بما لهم عليهم من سلطان الرعاية والتدبير وبما منح لهم من حق التصرف فى كنيسة الله الحى - راجع (مت ١٦ : ١٩)،

(١٨ : ١٨)، (يو ٢٠ : ٢٢، ٢٣) و(أع ١٥ : ٢٢ - ٣١)، (١. كـو ٥ : ٤، ٥)، (٢. كو ٢ : ٦ - ١٠).

على أن وضع القوانين لتدبير الكنيسة وبنيان النفوس، وربط المؤمنين بحدود وقوانين، منعاً للفوضى وتوطيداً لحقائق الإيمان ونظم العبادة؛ كل هذا يدخل ضمن سلطان الرسل القديسين الممنوح لهم من الله بأن ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وما يحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء.

وقد سجلت قوانين الرسل فى ثلاث مجموعات، وقد وردت فى جميع النسخ القديمة على الترتيب التالى :

(أ) - المجموعة الأولى - هى مجموعة القوانين التى وضعها الرسل فى صهيون - وقد كانوا يجتمعون دائماً فيها - ويرجع تاريخ هذه المجموعة إلى الزمن الذى يمتد بين صعود السيد المسيح وتفرق الرسل الأطهار إلى أنحاء العالم للكرازة والتبشير، أى أن الرسل أصدروا الأوامر المدونة فى هذه المجموعة قبل إنتشارهم فى ربوع المسكونة وقبل مغادرتهم أورشليم.

وهى مجموعة القوانين التى رمز إليها الشيخ الصفى ابن العسال فى مجموعتة، بالرمز (ع) نسبة إلى علية صهيون التى اجتمع فيها الرسل لتقرير هذه القوانين أو السنن وعددها ثلاثون سُنَّة أو قانوناً.

«وإنما وضع الرسل الأحبار هذه السُنن، وهم مجتمعون بالعلية فى أورشليم، لمن إستجاب لهم وتبعهم وآمن بالله على أيديهم من اليهود والأمم جميعاً،

وصيروها سُنَة لأهل المسكونة. لأن الروح القدس الذى حل عليهم فى علية صهيون يوم البنديكوستى، قد كان حكّمهم وألهمهم كل ما يحتاجون إليه كما وعدهم سيدنا يسوع المسيح، ولم يكن لهم فى كل الأمور غنى عن ذلك، بل كانوا مؤيدين بما أعطوا من السلطان وبما ألهموه أيضا من معرفة الله. وقد فعلوا ذلك (أى وضعوا هذه القوانين) لأنهم كانوا يتخوفون على الذين يتبعونهم ويؤمنون على أيديهم من الذئاب الذين كانوا عتيدين أن يأتوا ويختطفوهم من بعدهم» (١).

(ب) - والمجموعة الثانية - هى مجموعة القوانين التى وضعها الرسل القديسون، وأخبر بها القديس أكليمنضس تلميذ القديسين بطرس وبولس (فى ٤ : ٣). ولذلك يرمز إلى هذه المجموعة بالرمز (رسطب). أما الحرفان الأولان (ر س) فهما إختصار لكلمة «رسل» كما أن الحرف (ط) يرمز إلى القديس «أكليمنطس» وحرف (ب) إشارة إلى أن هذه هى المجموعة الرسولية الثانية وذلك تبعاً للترتيب الأبجدى الذى يجعل الباء بعد الألف.

ويبلغ عدد القوانين فى هذه المجموعة واحداً وسبعين قانوناً.

(جـ) - المجموعة الرسولية الثالثة - وقد ذكر أن الرسل الأطهار أمروا بها وأرسلوها على يد القديس أكليمنضس السالف الذكر؛ ويرمز إليها عادة فى القوانين بالرمز (رسطج) وهو يشير إلى أنها المجموعة الرسولية (ر س) الثالثة (ج) على يد (اكليمنطس) (ط) وهى تحتوى على ستة وخمسين قانوناً.

---

(١) راجع نسخة القوانين المحفوظة بالمتحف القبطى؛ أو المحفوظة بمكتبة دير أبى مقار؛ أو المحفوظة بمكتبة الكلية الإكليريكية بمصر.

ولا عبرة بعدد القوانين؛ فعددها عند اليونان واحد وثمانون قانوناً؛ وعند النساطرة إثنان وثمانون، على ما تضمنه كتاب فقة النصارى جمع ابن الطيب النسطورى، وعند الملكيين ثم اليعاقبة السريان ثلاثة وثمانون قانوناً. وعند الروس خمسة وثمانون. ومع ذلك فالإتفاق تام في المبنى والمعنى، والإختلاف فى العدد فقط، فإما أن يضم قانون أو أكثر إلى قانون واحد، أو يتوزع قانون واحد على قانونين وأكثر.

وقد لاحظنا أن النسخة القبطية جمعت القانون الثانى إلى الأول، والرابع إلى الثالث، والثالث عشر إلى الثانى عشر، والسادس عشر إلى الخامس عشر، والثامن عشر والتاسع عشر إلى السابع عشر، والثانى والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين إلى الحادى والعشرين، والثالث والأربعين والرابع والأربعين إلى الثانى والأربعين، والخامس والخمسين والسادس والخمسين إلى الرابع والخمسين.

ثم ضمت القانون السابع والستين إلى الخامس والستين، والواحد والسبعين إلى التاسع والستين، والثالث والسبعين إلى الثانى والسبعين، وجعلت من القانون الخامس والسبعين إلى التاسع والسبعين قانوناً واحداً ثم ألفت بين القانون الثمانين والواحد والثمانين والثانى والثمانين ثم بين القانون الثالث والثمانين والرابع والثمانين. وبذلك أصبح المجموع فى النسخة القبطية ستة وخمسين قانوناً فقط.

ولو ضاهينا النسخة القبطية بغيرها من النسخ، نلاحظ أنها أصابت فى ضم بعض القوانين إلى بعضها نظراً لوحدة الموضوع.

ومهما يكن من شئ فقوانين الرسل تتألف من هذه المجموعات الثلاث. وهى تشتمل فيما بينها على مائة وسبعة وخمسين قانونا (٣٠ + ٧١ + ٥٦ = ١٥٧).

وقد أشار إليها الآباء الرسل فى كتاب الدسقولية حيث قالوا فى مطلع هذا الكتاب الجليل : «نحن الإثنى عشر رسولا ... إجتمعنا معاً بأورشليم... وقررنا هذه التعاليم (الدسقولية) الجامعة... وقد كنا قررنا قوانين، ووضعناها فى الكنيسة.

كما أشار إلى هذه القوانين أيضا المجمع المسكونى الأول المنعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م وذلك فى القانون الثانى والخامس عشر من قوانينه. كما أشار إليها أيضا المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية سنة ٣٨١م كما يتضح من القانون السادس.

وقد نص عليها كذلك مجمع أفسس الأول وهو المجمع المسكونى الثالث المنعقد سنة ٤٣١م فى القانون الثامن بقوله :

«إن ريجينوس المشارك لنا فى الأسقفية والمحب لله. وزينون. وايواغريوس المحبين لله أسقفى أبروشية قبرص والذين معه. أخبرونا بأمر محدث يخالف الشرائع الكنسية وقوانين الرسل القديسين.. الخ».

+ + + +

وبعد فهذه هى قوانين الرسل التى نعتمد عليها نحن وغيرنا فى سياسة الكنيسة وهى ثانى أركان التقليد المكتوب والمسلم عن الرسل القديسين.

ثالثاً : الدسقولية

التقليد الكتابى الرسولى :

ينسب إلي الرسل القديسين كتاب الدسقولية كما ينسب إليهم كتاب قوانين الرسل وهو يعد مع قوانين الرسل فى المرتبة التالية مباشرة بعد الكتاب المقدس فى نظر الكنيسة الجامعة الرسولية، فيهما ترتيبات الكنيسة وسياستها الداخلية، وتحديد إختصاصات ذوى الرتب الكهنوتية ومختلف الطقوس والنظم ومتنوع الفضائل والواجبات التى يجب توافرها فى جميع المسيحيين على إختلاف درجات المسئولية.

أما الدسقولية فهو الكتاب المعروف بـ «تعاليم الرسل» وترجع هذه التسمية إلى الكلمة اليونانية : (ذيذا سكاليا) ومعناها «تعليم» (١) وهوكتاب رسولى كريم جليل القدر والأهمية نافع غاية النفع، لا غنى للكنيسة عنه فى سياستها العامة أو الخاصة. وهو دستور روحى سماوى مفيد أعظم الفائدة لكل فرد فى مختلف مراتب الخدمة بالكنيسة عامياً كان أو من طغمة الإكليروس، شماساً أو قسيسا أو أسقفاً، بتولا أو متزوجاً. رجلا أو إمرأة، غنياً أو فقيراً، يتيماً أو أرملة، عالماً أو جاهلاً، شاباً أو طفلاً أو شيخاً، يتناول الحياة وبعد الموت.

ويحتوى هذا الكتاب الجليل القدر والإعتبار على أبواب عددها تسعة وثلاثون باباً بموجب نسختنا القبطية. وقد صدر بمقدمة مهمة قال الآباء الرسل فى مطلعها:

---

(١) القاموس اليونانى الإنجليزى تأليف ألكسدر سوتر- أوكسفورد سنة ١٩٢٩ حيث يقول أن (ذيذا سكاليا) معناها «تعليم» وهى تعرف فى المؤلفات الأجنبية بالأسماء التالية : الدسقولية، تعليم الرسل، الأوامر الرسولية.

«نحن الإثنى عشر رسولا، الذين لإبن الله الوحيد ضابط الكل. ربنا، ومخلصنا يسوع المسيح إجتمعنا معاً بأورشليم مدينة الملك العظيم ومعنا أخونا بولس الإناء المختار رسول الأمم، ويعقوب أخونا أخو الرب أسقف هذه المدينة أورشليم، وقررنا هذه التعاليم (الدسقولية) الجامعة، هذه التى حددناها لكل طغمات الكنيسة، وسمينا فيها الرتب كإستحقاقها لأنه كمثل السمائيين هكذا أيضا الكنيسة؛ وقد علَّمنا كل واحد أن يثبت فيما قسم له الرب بشكر، الأسقف كراع، والقسوس كمعلمين، والشمامسة كخدام، والأبودياقونيون كأعوان، والاغنسطسيون كقراء، والأبصلمودسيون مرتلين بالفهم، والأقلونيون (وفى نسخة أخرى والتقلونيس) قومة، وبقية الشعب مستمعين كلام الإنجيل بأدب ووقار عاملين الكلمة بحرص وقد.. قررنا قوانين.. وهذا الكتاب الآخر للتعليم كتبناه وأرسلناه على يد أكليمنضس رفيقنا الخادم إلى كل المسكونة لكى تسير كأوامرها كل كنائس المسيحيين التى تحت الشمس، إذ تعلمون بإجتهاد أن الذى يسمع ويحفظ الأوامر المكتوبة فيها له حياة أبدية، ودالة قدام ربنا يسوع المسيح الذى إئتمننا على هذا السر العظيم الذى له، ومن خالف ولم يحفظها يطرح كمخالف، ومسكنه الجحيم إلى الأبد كما هو مكتوب، أن الذين يصنعون الشر يذهبون إلى العذاب الأبدى. والذين يعملون الحسنات يحيون إلى الأبد فى ملكوت السموات آمين».

وليس صحيحاً ما يذهب إليه البعض من أن كتاب الدسقولية خاص بالكنيسة القبطية دون سواها. قال الاستاذ يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية السابق فى جريدته (الحق) عن الدسقولية : «ذهب الشيخ الصفى

وأبو شاكر وغيرهما إلى أن هذا المؤلف لا يوجد فى غير الكنيسة القبطية. فلا يبعد أن يكون قولهم هذا صادراً عن عدم التأمل ودقة النظر فيه وإستقرائه كما ينبغى، فإن أحد البطاركة الإنطاكيين المدعو (أورانيوس) الذى إرتقى على كرسى البطريركية بعد القديس فيلبس. وكان معاصراً للقديس ديمتريوس الأول البطريرك الأسكندرانى. كتب رسالة رعائية حصر فيها سائر الكتب القانونية العتيقة والحديثة داحضاً بذلك تمويهات الهراطقة الذين كانوا يلفقون كتباً وتصانيف كاذبة مملوءة من الضلال وينسبونها إلى السادة الرسل. وقد حصر هذا البطريرك الإنطاكى (الذيذا سكوليا) من ضمن الكتب القانونية التى تعتمد عليها الكنيسة.

فإذن يوجد هذا الكتاب عند غيرنا من الطوائف كما يوجد عندنا، وهو لعمرى المصنف الرسولى الذى تدعوه الطوائف الأخرى بالأوامر الرسولية. وقد ألفينا المؤلفين منها يستشهدون بهذا الأخير كثيراً. وأكبر دليل نستدل به على أن (الذيذاسكوليا) هى من أقوال الرسل هو أن أكثر موادها كررتها المجامع المسكونية والمكانية التى إجتمعت بعد الأجيال الرسولية بزمان قليل، وأثبتتها أحكامها الكنائسية التى حتمت بها على المؤمنين مراعية بذلك المعانى دون الألفاظ» (١).

(١) راجع جريدة الحق السنة الأولى عدد ٣٣ ص ٢٦٠، ٢٦١ بتاريخ السبت ٢٩ هاتور سنة ١٦١١ وراجع أيضا «اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة» للقمص يوحنا سلامة – مطبعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٠٩ الجزء الأول ص ١١٤ حاشية.

ومعنى هذا أن سفر الدسقولية تعترف بقانونيته كنيسة أنطاكية الأرثوذكسية وأنه يعد لديها سفراً صحيحاً ومقدساً فيما قبل القرن الثالث للميلاد.

هذا، ويوجد كذلك فى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية (١).

وقد طُبع هذا السفر النفيس طبعات كثيرة بمختلف اللغات اليونانية واللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية والحبشية والعربية وممن عنى بطبعها للاتينية (بوفيوس) فى البندقية سنة ١٥٦٣ وطبعت باليونانية بمعرفة توريانوس اليسوعى (البندقية سنة ١٥٦٣) ثم أوردها أيضاً (كوتيليريوس) فى كتابه « الآباء الرسولين» وكليريكوس سنة ١٧٢٤ ثم ولتسن سنة ١٨٥٣ ، و «لاجارد» سنة ١٨٥٤ وقد بين لاجارد أنه فى هذه الطبعة قد راجع النسخ السورية والعربية والحبشية والقبطية لتعاليم الرسل (الدسقولية) وكذلك قام بطبعها فى (هويستون) فى مؤلفه «المسيحية الأولية» وقد أورد معاً النصين اليونانى والإنجليزى. ثم طبعها أيضا (جيمس دونالدسون) فى أدنبرج، وهذه الطبعة وجدت فى مكتبة الكلية الإكليريكية بمصر.

ولسنا نستطيع هنا أن نحصى جميع الطبعات التى قام بها كثير من العلماء فى جميع الأقطار وبمختلف اللغات لأنها أكثر من أن تحصى فى مقال كهذا لم نقصد أن يكون بحثاً مستفيضاً عن الدسقولية. بل بمثابة تعريف لهذا السفر الرسولى بإعتباره تقليداً أو دستوراً رسولياً.

وجُل ما نريد أن ننبه إليه الأذهان أن هذا السفر ليس معتبراً فى نظر

---

(١) راجع مقدمة الطبعة الثانية للدسقولية ـ طبع الشماس حافظ داود سنة ١٩٤٠.

الكنيسة القبطية وحدها، وليس هو موجوداً باللغة العربية فقط. حقا لقد يدعوها البعض أوامر الرسل ويدعوها غيرهم وصايا الرسل ويدعوها البعض الآخر «نظم الرسل» أو «دستور الرسل» أو «الدسقولية».

ولكن هذه ترجمات مختلفة لإسم كتاب واحد هو « الذيذاسكاليا» وهى متفقة فى الجوهر والمعنى كما أنها متفقة فى اللفظ كذلك، كما يتضح لك ذلك لو أنك قرأت هذه الدسقولية فى جميع اللغات.

ويقول العلامة الروسى بطرس نتشايف : «إن كتب (وصايا الرسل) (١) كانت معتبرة فى الشرق كقوانين الرسل وحفظت فى بعض الكنائس كالأسكندرية، حتى أنها كانت داخلة فى مجلد قوانين الكنيسة وأعطيت كقوانين، وجامعها هو القديس اقليمس (أو أكليمنضس) أسقف رومية» ثم يقول أيضا «إن وصايا الرسل كانت معروفة عند بعض آباء الكنيسة فذكروها فى تآليفهم كالقديس إريناوس وأفسيفيوس (أوسابيوس) والقديس أثناسيوس وأبيفانيوس وغيرهم من الآباء الكنسيين» ويقول مرة أخرى «إن بعض آباء الكنيسة فى ذلك الوقت كالقديس أبيفانيوس قد استندوا عليها فى تآليفهم وذكروها بإسمها الحاضر» إلى أن يقول : «وهذه الكتب تبحث أيضا فى عدة أمور سرية فى كنيسة المسيح المقدسة، الأمور التى كانت فى أول القرون المسيحية غير مدركة لسمو معانيها ولأسباب أخرى تاريخية محضة، ولذلك (فإن) القانون ٨٥ من القوانين الرسولية (يقول) .. (ووصايا الرسل التى أوصوا

---

(١) يقول عن «الدسقولية» أنها «كتب» لا كتاب، نظراً لأنها تنقسم عندهم إلى ثمانى أقسام، يسمون كل قسم منها كتاباً.

بها لكم أيها الأساقفة) ينبغى عدم إشهارها تجاه الكل نظراً للأمور السرية التى تحويها» (١).

ومؤدى شهادة هذا العالم الروسى الأرثوذكسى أن وصايا أو تعاليم الرسل معتبرة فى الشرق إعتبار قوانين الرسل وأنهما معاً يؤلفان دستور الكنيسة وقوانينها منذ العصور الرسولية الأولى حتى أن آباء الكنيسة القديسين وعلماءها فيما قبل الإنشقاق قد إستندوا إليها فى مؤلفاتهم واستشهدوا بها فى أقوالهم.

يؤيد هذا أيضا ما يقوله العلامة الأرشيمندريت جراسيموس مسرة اللاذقى رئيس كنيسة السوريين الأرثوذكس فى أسكندرية بكتابه «تاريخ الإنشقاق» تحت فصل عقده بعنوان «القوانين والأوامر الرسولية».

«ليس من شأن مؤلفنا البحث فى ما إذا كانت هذه القوانين والأوامر الشريفة المعروفة بالرسولية مكتوبة من تلاميذ الرسل أو من رجال آخرين بعدهم. وعليه نقتصر على مجرد الإفادة أن فى هذا الموضوع رأيين عند علماء التاريخ الكنسى، فبعضهم يقول أن كاتبها هو اكليميس أسقف رومية وبعضهم

---

(١) راجع كتاب «الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين» أو «تلخيص الحقوق الكنسية فى واجبات راعى الكنيسة الأرثوذكسية» تأليف العالم الفاضل المتشرع الفقيه المرحوم بطرس نتشايف الروسى، نقله إلى العربية جميل فتح الله إنطاكى لمنفعة الكنائس العربية فى سوريا سنة ١٩٠٧ ص ٣٣ – ٣٥.

ويوافق الفقرة الأخيرة من أقوال العالم الروسى ما جاء فى تاريخ ابن الراهب المعاصر لأولاد العسال عن الدسقولية إنها هى المسماة : «المسطو غوجيا» أى «السر الخفى».

(راجع أيضا المجلة القبطية لجرجس فيلوثاؤس عرض – السنة الأولى ص ٢٣٩).

يقول أن كاتبها هو أكليميس الأسكندرى وهو من رجال القرن الثانى (١) غير أن ذوى الرأيين متفقون على أن تلك القوانين قدستها الرجال الرسوليون أنفسهم نقلا عن الرسل وتعليمهم وتسليهما (٢)، ولهذا السبب تعتبر قسما مهما من آثار القرن الأول المسيحى، (٣).

وأكثر الباحثين على أن كاتب هذه الدسقولية وجامعها هو محرر قوانين الرسل كما يدل على ذلك كتاب قوانين الرسل فى خاتمته : «ووصايا الرسل التى أوصوا بها لكم أيها الأساقفة هى محررة بواسطتى أنا أكليمنضس (٤)، وليس هناك ما يدعو إلى الشك فى صحة هذه النسبة. ولا سيما أن فاتحة الدسقولية أشارت إلى هذا القديس (٥).

---

(١) باترولوجيا كوندوغونى مؤلفات أكليميس (أكليمنضس) الرومانى.

(٢) المائة سّنة لأفجانيوس ٢٢٨.

(٣) راجع تاريخ الإنشقاق تأليف الأرشيمندريت جراسيموس مسرة – المطبعة الإبراهيمية – الأسكندرية سنة ١٨٩١ مسحية ص ٥٣ ، ٥٤.

(٤) راجع خاتمة القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل (نسخة الأروام الأرثوذكس أو نسخة الروم الأرثوذكس) بالنص اليونانى أو الترجمة العربية (كتاب قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية ـ مطبعة المحروسة بمصر سنة ١٨٩٤ أو كتاب الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين للعالم بطرس نتشايف.

(٥) راجع كتاب : الـ «١٢٧» «قانونا للرسل» النص العربى مترجماً للفرنسية بمعرفة جان بيريير وأغسطينوس بيريير ـ باريس ١٩١٢ (المقدمة ص ٧).

هذا من حيث التحرير أو التدوين أو التسجيل أما من حيث التأليف والوضع فيقول البعض أن الرسل قد وضعوها فى نحو سنة ٩٦م، والأرجح أنهم لم يضعوها كلها دفعة واحدة. وربما بدأوا بعض أحكامها وقضاياها فى زمن متقدم على هذا التاريخ. ويستند بعض اللاهوتيين فى إثبات هذا الرأى إلى نص كريم ورد فى سفر الأعمال لآبائنا الرسل. ففيه إشارة واضحة صريحة إلى قوانين أو أوامر أو وصايا إستنها الآباء الرسل وأرسلوها إلى كنائس الله فى مختلف البلدان والأقاليم، وهذه الإشارة هى فى الفصل السادس عشر حيث يقول الوحى «وإذ كانوا يجتازون فى المدن كانوا يسلمونهم - القضايا - التى حكم بها الرسل والشيوخ (الكهنة) الذين فى أورشليم ليحفظوها» (أع ١٦ :٤) ومن هذا النص يتضح أن ثمة مجموعة - قضايا - وأحكام مسطورة فى أوراق كان يحملها القديس بولس وسيلا وتيموثيئوس وأكليمنضس (فى ٤ : ٣) وغيرهم، «ليسلموها» بأنفسهم إلى الكنائس التى كانوا ينطلقون إليها. وهذه دون شك، إشارة بينة إلى التقاليد المكتوبة، لأن النص يشير إلى قضايا كثيرة لا إلى قضية واحدة، فلا يمكن إذن أن يقال كما قال صاحب كتاب الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل البروتستانتى «أن هذه القضايا هى الإمتناع عن الدم والمخنوق والزنى لأن هذه لا تعدو أن تكون قضية واحدة» راجع مجلة اليقظة السنة الأولى عدد ٩ ص ٥٤٢ و ٥٤٣.

ومما يقطع كل شك فى حقيقة هذه المسألة نص آخر ورد فى نهاية الفصل الخامس عشر. يقول : «فاجتاز بولس فى سوريا وكيليكيا يشدد الكنائس، إذ يأمرهم أن يحفظوا وصايا الرسل والكهنة» (أع ١٥ :٤١).

وقد أورد البروتستانت هذا النص مبتورا فى طبعتهم البيروتية تعمية للقراء عن هذه الوصايا الرسولية التى أنكروا حقيقتها، مع أن هذا النص قد أوردته كاملاً طبعة وليم واطِس فى لندن وهى المطابقة لطبعة رومية، وطبعة الآباء اليسوعيين أيضا بل قد أورده البروتستانت أنفسهم فى طبعة لندن سنة ١٨٦٠م – راجع اللآلئ النفيسة للقمص يوحنا سلامه الجزء الأول ص ٩٢.

فقد أشار الكتاب المقدس إذن إلى وصايا الرسل، ومن هنا فإن وضع هذا الكتاب يتصل بالعصر الرسولى الأول، ولقد ذهب بعض كتاب الغرب وهو العلامة هويستون إلى أن قوام هذا السفر الرسولى أى (تعاليم الرسل)، هو حديث الرب يسوع المسيح وتعليمه الذى «سلمه لرسله.. فى أورشليم. على جبل الزيتون وهم مجتمعون بعد قيامته»، وقد كرس لإثبات نظريته مجلدا كاملا من كتابة «المسيحية الأولية تحيا من جديد» (المجلد الثالث).

وهذا الرأى يوافقه ما جاء فى سفر الأعمال حيث قال عن المخلص أنه «ارتفع بعد ما أوصى بالروح القدس؛ الرسل الذين إختارهم وهم يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله» (أع ١، ٢، ٣) أى أن الفادى قضى أربعين يوما بعد قيامته يكلم تلاميذه ويوصيهم بأمور تتصل بكنيسته.

وثمة نص آخر يفيد هذا المعنى، ورد بالدسقولية فى مطلع الباب الثالث «لأجل الأساقفة، هكذا سمعنا من ربنا يسوع المسيح. يجب على الراعى الذى يجلسونه رئيسا (أسقفاً) للكنائس فى كل مكان أن يكون بلا وجد ولا علة ويكون طاهراً... ولا يكون عمره دون خمسين سنة ...» ومنه يتبين أن الرسل قد

إستقوا تعاليمهم هذه من ربنا وسيدنا يسوع المسيح، وأن هذه التعاليم المتصلة بنظم الكنيسة وترتيباتها وسياستها وإختصاصات رعاتها وخدامها قد أخذها التلاميذ عن المعلم الأكبر فى أحاديثه الخاصة حيث كان يختلى بهم ويعلمهم، وحيث كان يوصيهم (مت ٢٨ : ٢٠)، (أع ١٠ : ٤٢) ولا سيما فى الأربعين يوما التالية لقيامته المجيدة. فضلا عن أن الرسل أنفسهم مزودون بالروح القدس بسلطان الربط والحل والتصرف فى كنيسة الله، هذا السلطان الذى كانوا يمنحونه بوضع اليد لمن يرون أنهم أكفاء أن يعلموا آخرين أيضا (١. تى ٣ : ١٥)، (تى ١ : ٥، ٢، ١٥)، (٢. تى ٢ : ٢) وبهذا السلطان يستطيعون أن يسوسوا الكنيسة وأن يرتبوا أمورهم ويحددوا إختصاصات خدامها، وهذا أمر فى غاية الخطورة والأهمية لكنيسة المسيح خاصة وقد إمتد نطاقها واتسعت دائرتها، وإزداد عدد تابعيها وخدامها وتعقدت مشاكلها.

وفى كلمة موجزة. أن الدسقولية كتاب رسولى كان طوال العصور ولا زال قانونيا ومعتبرا فى نظر الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية. وهو إلى جانب الكتاب المقدس وقوانين الرسل القديسين عمدة الكنيسة ودستورها الذى ينظم سياستها الداخلية والخارجية. ترجع إليه فى تبيان الواجبات وحل المشكلات ومعرفة النظم والترتيبات.

ولئن كان يشتمل على أسرار الديانة وطقوسها فى إفصاح وإطناب بحيث يعلو على مدارك غير المؤمنين. ولذلك كان أقل إنتشارا من الإنجيل الذى قصد به أن يكون بشارة لغير المؤمنين. إلا أن الكنيسة المؤتمنة على هذا الكتاب النفيس صانته من ضروب الإفساد وغالبت عليه عوامل الفناء والزوال. فما أشد

ما عانته كنيستنا من تعذيب وتضييق وما أفظع الأهوال التى أدركتها فى سبيل المحافظة على تراثها الأدبى والروحى. فهنيئا لنا بهؤلاء الأسود البواسل الذين حفظوا الإيمان بدمائهم وصانوا العقيدة بحياتهم وسلموا، رقابهم ولم يسلموا تراث الكنيسة لأعدائها الكواسر. بل سلموه لنا مختوما بأشرف الدماء.

فلنرع الأمانة حقها. ولنرع كنوز آبائنا فنتدارسها ونعمل بما فيها فقد هلك الكثيرون من عدم المعرفة، وليتمجد الرب فينا بشفاعات قديسيه.

رابعاً : كتب الكنيسة

كتب وضعها آباء الكنيسة فى عصور متقدمة، وهى التى تتلى فى أوقات العبادة بالكنيسة (أو خارج الكنيسة ولكن فى ظروف مخصوصة). وهى على نوعين : كتب تعليم، وكتب صلوات.

أولاً : كتب التعليم :

يمكن أن نحصر كتب التعليم التى تتلى على المؤمنين بالكنيسة فى أربعة أنواع :-

(١) **القطمارس** (الكاتاميروس) وهى كلمة يونانية تتركب من مقطعين : الأول (كاتا) وتفسيره «على حسب» والثانى (ميروس) وتفسيره «جزء أو قسم أو فصل» أى «على حسب الفصول».

والكتاب يحتوى على فصول أو أجزاء مختارة من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، تقرأ فى الكنيسة بحسب أيام السنة التوتية (القبطية) وهو مطبوع أو مخطوط قبطياً وعربياً على بضعة أجزاء السنة حسب ترتيب الأصوام والأعياد والمواسم المسيحية والقبطية.

ومما يسترعى الإنتباه أن هذا الكتاب بأجزائه الكثيرة قد اشتمل على كثير من الفصول المختارة من أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ والمكابيين الأول والثانى. وهى فيه بمنزلة الفصول المختارة من سائر أسفار العهد القديم سواء بسواء، تقدم بمقدمة واحدة، هى «فصل من ... بركاته علينا آمين» وتختم بخاتمة واحدة هى : «مجداً للثالوث الأقدس» مما يدل على

أن الكنيسة تنظر إلى هذه الأسفار نظرة مساوية لنظرتها لسائر أسفار العهد القديم.

(٢) السنكسار :

وفيه تدونت أخبار وتواريخ القديسين والشهداء الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة إبتداء من آدم ولا سيما قديسى العهد الجديد الذين يحتلون أكثر صفحات هذا السفر النفيس.

تتلوه الكنيسة على أولادها (فى كل يوم) لتضع أمام أبصارهم أمثلة للفضيلة والحياة المقدسة الطاهرة، وكأنها تناديهم «اذكروا مرشديكم... انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣ : ٧).

وإذ أن سفر الأعمال لم يختم كما ختمت سائر كتب العهد الجديد بعبارة أو كلمة تفيد الختام، وإذ أن العهد الجديد عهد عمل الروح القدس فى حياة الكنيسة ولما ينته بعد، فقد نظرت الكنيسة إلى السنكسار على أنه إكمال وإمتداد لسفر الأعمال (الأبركسيس) ولهذا فهو يتلى عقب تلاوة الأبركسيس مباشرة.

هذا وكلمة سيناكسيس اليونانية، معناها مجمع المؤمنين المجتمعين.

(٣) كتب الميامر والطروحات والتفاسير :

وهذه كتب سطرها الآباء تفسيراً وإيضاحاً للفصول المقدسة التى تتلى على جمهور المؤمنين. وهى كتب تعليمية روحية لاهوتية. القصد منها بيان الحقائق الإنجيلية والتعاليم الكنسية المرتبة على الأسفار الإلهية.

وكلمة (ميمر) لفظة سوريانية الأصل معناها (سيرة) إذ يلاحظ فى الميامر أنها فى أكثرها تعاليم على طريقة قصصية أو جدلية كما هو الحال فى ميامر

الجمعة الكبيرة مثلا أو أنها تقوم على سيرة لبعض القديسين نظير ميمر أيوب الصديق، أو ميمر المكابيين.

وأما الطروحات والتفاسير فهى بمعنى واحد، غير أن الطروحات تلح على إلتزام ألفاظ الإنجيل بما لا يخلو من التكرار الذى يفيد فى تثبيت الحقائق والوقائع والمعانى وتوكيدها.

(٤) المواعظ والمقالات والخطب :

كتب فى أكثرها روحية بحتة تنحو إلى إيقاظ الضمائر وتبكيت الخطاة والحث على الفضائل المسيحية.

أما المواعظ فمرتبة على فصل أو آية أو بضع آيات من الكتاب المقدس، وأما الخطب فهى عظات أيضا لكنها بأسلوب منظوم وتتلى بطريقة منغمة، وأما المقالات فيغلب عليها الوعظ التعليمى الذى قد يكتفى أن يقيم من المناسبة نفسها مقالاً نافعاً وهذا ما يحدث عادة فى الأعياد السيدية الكبرى على وجه الخصوص.

ثانياً : كتب الصلوات :

(١) الأجبية (تى أجبى).

كتاب صلوات ساعات النهار والليل. ويحتوى على مقدمات الصلوات ثم على صلوات الساعة الأولى (باكر) والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم وصلاة نصف الليل وتحليل الكهنة، ثم على صلاة الستار للآباء الرهبان. وتستعمل الأجبية للصلوات الإنفرادية والعائلية والجمهورية، فى البيت وفى الكنيسة.

(٢) الخولاجى المقدس (بى افخولوجيون - الصلوات الملفوظة) وهو الكتاب الذى يشتمل على ترتيبات وصلوات القداس الإلهى لتقديس ذبيحة العشاء السرى.

والقداسات والصلوات المستعملة فى كنيستنا والتى يتضمنها كتاب الخولاجى هى :

١ - القداس الكيرلسى وهو قداس مارمرقس الذى دونه القديس كيرلس الأول عمود الدين.

٢ - قداس القديس باسيليوس (أسقف كبادوكيا).

٣ - قداس القديس اغريغوريوس الثيؤلوغوس.

٤ - صلوات تعمير الكأس، إذا أهرقت مادة الخمر أو أتلفت.

٥ - صلوات القسمة على مختلف أيام السنة.

٦ - الألحان على مدار أيام السنة بحسب الأيام والشهور والأصوام والمواسم والأعياد السيدية وغير السيدية.

(٣) كتاب المعمودية المقدسة والميرون.

فيه ترتيبات المعمودية والميرون وكيفية مباشرة السرّين والصلوات التى تتلى.

(٤) كتاب مسحة المرضى :

وهو المعروف بصلوات القنديل. ثم صلوات «أبو تربو» وصلوات أخرى.

(٥) كتاب صلوات الإكليل وعقد الخطوبة :

وفيه بيان لطقوس مباشرة سر الزيجة.

(٦) كتاب السيامة :

لمختلف طغمات الكنيسة من أناغنوسطوسيين ومرتلين وإيبوديا كونيين وشمامسة ورؤساء شمامسة وقسوس وقمامصة وأساقفة ومطارنة وبطاركة.

(٧) كتاب اللقان والسجدة.

(٨) كتاب الأبصلمودية (التسبحة) السنوية وتتلى على مدار أيام السنة.

(٩) كتاب الأبصلمودية (التسبحة) الكيهكية وتتلى فى شهر كيهك.

(١٠) كتاب التماجيد للقديسين.

(١١) كتاب ترتيب أسبوع الآلام.

(١٢) كتاب المدائح والتراتيل المختلفة ـ على مختلف الأيام والآحاد والأصوام والأعياد.

+ + + +

هذه الكتب التى تتلوها الكنيسة فى صلواتها تعد مرجعاً من المراجع الهامة التى دونت فيها معتقدات الكنيسة وطقوسها. ولما كانت قد وضعت فى عصور متقدمة جداً، لذلك تعتبر جزءاً من التقليد الذى يسجل إيمان الكنيسة ونظام عبادتها منذ أقدم العصور المسيحية.

خامساً: مؤلفات الآباء

لآباء الكنيسة وقديسيها الملهمين مؤلفات لا تتلى فى الكنيسة، لكنها قيمة وجليلة فى التفسير والوعظ واللاهوت والتاريخ والطقس، كتبها رجال علماء إبتداء من القرن الثانى للميلاد من أمثال القديسين إيرناؤس وأكليمنضس الرومانى وأكليمنضس الأسكندرى وترتليانس وكبريانوس وأثناسيوس الرسولى وكيرلس عمود الدين وأوغسطينوس وأبيفانيوس ويوحنا الذهبى الفم ومن إلى هؤلاء ومن جاء بعدهم حتى عصورنا المتأخرة، وهى كتب نلاحظ فيها روح المسيحية فى مختلف عصور التاريخ المسيحى، نقرأها فنقف على معتقدات الآباء الأولين، ثم نقارنها بمن جاء بعدهم فنشعر أن هناك وحدة فى الروح وفى التعليم تسرى فى جميع المؤلفات مما نستبين معه على أن إعتقادات الكنيسة ثابتة لم تتحور أو تتطور. وأن طقوسها قديمة عريقة فى القدم.

ولا شك أننا عندما نريد أن نعرف معتقدات الكنيسة، لا يمكن أن نغفل هذا المرجع الذى يعد دليلاً سليماً على ثبات التعليم الرسولى وأمانة الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية، إذ الإتفاق فى التعليم على الرغم من إختلاف العصور وإختلاف البيئات وإختلاف الكتاب، برهان على، أصالته وعراقته وعلى وحدة الأصل الذى أخذ عنه الكتاب والمؤلفون.

ولعله من الحماقة والكبرياء أن لانكترث لما كتبه الآباء القديسون بل يجب أن نعنى بما كتبوه فنطمئن إلى تسلسل التعليم المسيحى وعدم إنحرافه فى الكنيسة الأرثوذكسية عن الأصول الأولى التى سلمها رسل الكنيسة لأحبارها وعلمائها.

والخلاصة أن الكتاب المقدس والدسقولية وقوانين الرسل وكتب الكنيسة ومؤلفات الآباء هى عناصر وأركان ومراجع التقليد المكتوب.

التقليد العملى

هذا هو النوع الثالث من التقليد، والتقليد العملى هو المباشرات التى يمارسها الكهنة وجمهور الشعب فى طقوس العبادة والإحتفالات الكنسية، وقد تسلموها من يد إلى يد، خلفاً عن سلف، بملاحظة العين وإشتغال الحس.

وإذا لاحظنا الكلمة اليونانية التى يترجموها بالتقليد وهى (بارادوسيس)، فإنها تتألف من مقطعين : (بارا) ومعناه «من يد إلى يد» ثم (دوسيس) وتفسيره «عطية (أو شئ يعطى)».

فالتقليد بحسب إشتقاق الكلمة اليونانية يفيد شيئاً يعطى من يد إلى يد، ولذا يمكن أن نترجم أو نفهم كلمة (بارادوسيس) أو التقليد بكلمة «التسليمات» وهى تنصرف إلى مباشرات عملية لابد فيها من شخصين على الأقل : شخص يسلم والآخر يتسلم.

والناس عادة يستعملون لفظه التقليد بهذا المعنى، حينما يقولون عن شخص أنه «تقلد مهام وظيفته» بمعنى أنه تسلمها من شخص كان يقوم بها قبلا. على أنه لا يجوز أن يتسلمها قبل أن يعرف واجباته فيها على وجه دقيق، فإذا إطمأن سابقه إليه واستحق أن يؤتمن على مهام الوظيفة أمكنه أن يغادره، وإلا فإذا أودع الأمانة قبل أن يطمئن إليه، حسب مقصراً ومستوجباً للوم.

هكذا فى شئون الدين، قد اقتضت إرادة اللّه أن تكون طقوس العبادة ومراسيم الإحتفالات الروحية وديعة غالية يؤتمن عليها أشخاص يوثق فى إخلاصهم وعلمهم ونزاهتهم؛ ولابد لهؤلاء أن يسلموا الوديعة بدورهم إلى

أشخاص أُمناء. وأكفاء أن يعلموا غيرهم، وهكذا دواليك يتسلسل التسليم فى طقوس الكنيسة وترتيباتها، ليظل التسليم الرسولى والكنسى متصلا فلا ينقطع، وهذا خير ضمان لسلامة العقيدة والطقس فى كنيسة الله الرسولية. راجع (٢. تى ٢ : ٢)، (١. تى ٦ :١٣، ١٤)، (١. تى ٦ : ٢٠)، (٢. تى ١ : ١٣، ١٤).

وبهذا المعنى يعتبر الكهنة وكلاء على الشعب عن الله أوتمنوا على وديعة الكرم المقدس عندما يتسلمون الأمانة رسمياً بدعوة الله ومحضر المؤمنين ومسحة الروح القدس ووضع أيدى الرؤساء الروحانيين :

«كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة، وبنى برجا (وسلمه إلى كرامين وسافر) (مت ٢١ : ٣٣، ٤١)، (مر ١٢ : ١)، (لو ٢٠ : ٩).

«وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده، (وسلمه أمواله)، (مت ٢٥ : ١٤).

++++

وعلى هذا المنهج التسليمى والأسلوب التقليدى يكلم الرسول جمهور المؤمنين «فأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكروننى فى كل شئ، وتحفظون التقليدات (التسليمات) (كما سلمتها إليكم)، (١. كو ١١ : ٢).

«(لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر ...» (١. كو ١١ : ٢٣).

«وما تعلمتموه (وتسلمتموه) وسمعتموه ورأيتموه فىّ، فهذا افعلوا» (فى ٤ : ٩).

«فمن ثم أيها الإخوة، نسألكم ونطلب إليكم في الرب يسوع أنكم كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله تزدادون أكثر» (١ . تس ٤ : ١) .

+ + + +

ومن الأمثلة على التقليد العملى :

١ ـ **رسم علامة الصليب:** أى طريقة مباشرتها وكيفية ممارستها فى ظروفها الملائمة وأوضاعها الصحيحة، فهذه يتسلمها المؤمنون خلفاً عن سلف بطريقة عملية بملاحظة العين والمحاكاة النقلية، فالأبناء يشاهدون الآباء ويحاكونهم ويتمثلون بهم فيأخذون عنهم، وعن هؤلاء ينقل الأبناء فالأحفاد.

٢ ـ **ترتيب القداس الإلهى:** فالنظام الموضوع لتلاوة الصلوات وترتيب القراءات وممارسة التبخير فى مختلف الأوقات، وكيفية الإستعداد للذبيحة وإعداد المذبح، ثم الرشومات وكيفية التقديس وقسمة القربان، والسجود، والوقوف والركوع ومباركة الشعب، ومتى يكون ذلك بالرشم ومتى يكون بدون رشم، وكيفية توزيع القربان على المتناولين. وإصعاد القرابين وتسريح الشعب.. الخ، كل ذلك يتسلمه الكاهن عن كاهن آخر قد اشتهر بالدقة وآداء الطقوس على وجه سليم فلا يكتفى بإرشاد الكاهن إلى كتاب بل لابد من التسليم العملى من يد إلى يد حرصاً على سلامة الطقس وصيانة الترتيب الكنسى وتقديراً لقيمة هذه الطقوس الكنسية، وإشعاراً للكاهن بأهمية المحافظة عليها ليتسلمها عنه غيره فى أمانة ودقة كاملة.

٣ - ترتيبات الصلوات الأخرى :

فصلوات اللقان (قداسات المياة) وتجرى ثلاث مرات فى العام وكيف يتم هذا الإجراء، وكيفية إتمام سرى المعمودية والميرون، وكيفية مباشرة سر الإعتراف ومسحة المرضى والزواج وطقوس السيامة لدرجات الكهنوت المختلفة إبتداء من القيِّم حتى البابا البطريرك، وكيفية عمل الميرون، وطقوس أسبوع الآلام، والترحيم والتجنيز... الخ.

قال القديس باسيليوس : « من التقليد تعلمنا رسم علامة الصليب على جباهنا وعلى سائر الأمكنة، والإتجاه نحو الشرق، ومنه عرفنا كلمات التقدير والإستدعاء التى يتلوها الكاهن وقت الإستحالة. والفضل للتقليد فى تعليمه لنا مباركة ماء المعمودية وزيت المسحة وتغطيس المعتمد ثلاث غطسات».

٤ - ثم ألحان الكنيسة وتراتيلها ومدائحها والتسبحات الليلية والنهارية. فإن هذه الأنغام الدقيقة لابد للمحافظة على روحها ودقة إيقاعها، من التسليم، ونعنى به حفظ الألحان والأنغام على أوضاعها القديمة كما تسلمها القدامى منذ أقدم العصور.

+ + + +

على أن هذه الطقوس، لا مفر من أن يتناولها تعديل وتغيير وفقا للمواسم والأعياد من حيث القراءات والصلوات والأنغام، وعلى ذلك، يلزم الكاهن أن يتسلم أيضا ما يضاف على الطقوس بمناسبة الأصوام والأعياد السيدية وغير السيدية أى أعياد السيدة للعذراء والرسل والشهداء والقديسين.

أما كيفية بناء الكنيسة وسائر الترتيبات اللازمة لأوضاع العبادة فيها من حيث هندستها وتصميمها الخارجي والداخلي، وسائر محتوياتها وأدواتها، فهي أيضاً تسليم عملي يمكن التوصل إليه لا عن طريق الكتب فحسب بل عن طريق الإنتقال إلى الكنائس القديمة، فنعرف فيها الأوضاع القديمة كالأحجبة والمذابح وأجران المعمودية والمنجليات والصفوف (الخوارس) والمنابر وما إلى ذلك وننقل عنها عندما نريد أن نبني من جديد.

وكأننا قد تسلمنا طريقة البنيان من أيدي الآباء الأولين، وهذه الأيدي حفظتها لنا هذه الآثار، بأسلوب واضح ملموس.

لاحظ ما يقوله الرسول لتلميذه الأسقف تيطس : «من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك» (تي ١ : ٥) (١).

ولاحظ أيضاً قوله للمؤمنين في كنيسة كورنثوس «وأما الأمور الباقية، فعندما أجئ أرتبها» (١ . كو ١١ : ٣٤).

(١) في هذا النص نرى التسليم الرسولي بوضع اليد إذ أن الرسول أقام القديس تيطس أسقفاً على كريت، وتيطس بدوره يقيم عليها قسوساً من قبله، فيتسلم هؤلاء سلطان التدبير ووظيفة الكهنوت عن أسقف تسلم كهنوته من رسول للمسيح.

ثم تأمل في أن الأسقف تيطس سيكمل ترتيب الأمور الناقصة بمباشرة عملية لا بحديث شفاهي أو كتابي، ومن يريد معرفة هذه الأمور فعليه أن ينتقل إلى هذه الأسقفية ليرى بعينيه ما فعله القديس تيطس، فالرؤيا العيانية لأمور واقعية قديمة هي بمثابة تسليم رسولي عملي.

ولا نهمل هنا أن ننبه إلى أن نظم الكنيسة وترتيباتها التى تمارس عملياً وتسلم إلى المؤتمنين على تدبير البيعة من يد إلى يد ومن جيل إلى جيل، قد دونت جميعا بكل دقة فى كتب الكنيسة بحيث أن الكاهن يجد أمامه كل حركة وسكنة مشاراً إليها بوضوح فى كتب الكنيسة.

وإذن فنحن اليوم لا نعتمد على التقليد الشفاهى، ولا على تقليد عملى شفاهى بل نعتمد إلى جانب هذا وذاك على التقليد المسطور الذى سجل جميع تعاليم الكنيسة وطقوسها وترتيباتها ومباشرات عبادتها وأسرارها وإحتفالاتها وسائر نظاماتها فى مواسمها وأعيادها.

وهذا من شأنه، فى الواقع، أن يطمئننا على صحة الأصل ودقة النقل الذى نأخذ عنه.

ما الفرق بين التقليد الرسولى والتقليد الكنسى؟

سؤال : هل يوجد فرق بين التقليد الرسولى والتقليد الكنسى أم هى مترادفات؟

الجواب : التقليد الرسولى يقصد به التقليد الذى سلم من الرسل مباشرة، وأما التقليد الكنسى فيمتد إلى ما هو بعد العصر الرسولى، أى أن التقليد الرسولى هو التعاليم غير المكتوبة التى سلمها المسيح له المجد للرسل، وهم سلموها للمؤمنين فى الكنائس التى أسسوها مثل القداس الكيرلسى فهو تقليد رسولى، ومثل رسم علامة الصليب فهى تقليد رسولى، لأنه منذ الإبتداء المؤمنون يرسمون علامة الصليب على جباههم، عند بدء أى عمل وعند ختامه وكذلك الطقوس الدينية من صلوات وأصوام وترتيبات الطقوس الأساسية.

أما التقليد الكنسى فيقصد به أنه بعد العصر الرسولى الأول، آباء الكنيسة المعتبرون أعمدة، الذين أخذوا من الرسل أو تسلموا من الرسل، سلموا أيضا بإرشاد الروح القدس الذى كان معهم، بعض الأمور والأنظمة، وهذه الأمور أو مجموعة النظام تعد تقليد كنسى لأنها مسلمات، وإن لم تكن من العصر الرسولى الأول، لكنها مسلمة من أُناس معتبرون من أعمدة الكنيسة، مثل القداس الباسيلى وهو للقديس باسيليوس وهذا من العصر الرابع الميلادى وهو

طبعاً بعد الرسل، أما القداس الكيرلسي فهو قداس مارمرقس الرسول الذى سلمه إلينا، ولكنه نسب إلى البابا كيرلس الأول البابا ٢٤ من البطاركة لأنه هو الذى دونه وكان قبل ذلك يسلم شفاهيا، ومثل بعض ترتيبات البصخة أو أسبوع الآلام، وهذه الترتيبات بعضها من أيام الرسل، وبعضها من أيام الآباء الذين جاءوا بعد عهد الرسل، وكذلك ترتيب الفصول الكنسية وتنقيح القراءات وما إلى ذلك من أمور، وكلمة التقليد الرسولى تنصرف أصلا إلى التقليد الذى سلمه الآباء الرسل رأسا من المسيح إلى الكنائس التى أنشأوها فى العصر الأول، أما التقليد الكنسى فيمتد إلى ما بعد العصر الرسولى الأول.